

شرح

نظم زبدة البلاغة

للشيخ د. محمد بن عبدالعزيز نصيف

شرح

محمد بن سعيد ابن طوق المري

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدًا لِرَبِّي وَأَصَلِّي دَائِمًا ١ عَلَى النَّبِيِّ خُذْ زُبْدَةً وَلْتُحْكَمَا

المُقَدِّمَةُ

بَلَاغَةُ الْكَلَامِ بِالْمُطَابَقَةِ ٢ لِلْحَالِ مَعَ فَصَاحَةٍ مُحَقَّقَةٍ
=بَيُّسَرِ نُطْقٍ، وَوُضُوحِ مَعْنَى ٣ وَصِحَّةِ التَّرْكِيبِ -قُلْ- وَالْمَبْنَى
لِطَبْقِ حَالٍ وَضَعُوا الْمَعَانِي ٤ وَيُعْرِفُ الْوُضُوحُ بِالْبَيَانِ
وَيَسْلَمُ الْمَعْنَى مِنَ التَّعْقِيدِ ٥ وَالْحُسْنُ بِالْبَدِيعِ ذِي التَّجْدِيدِ

عِلْمُ الْمَعَانِي

(عِلْمٌ بِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ يُرَى ٦ لَفْظٌ مُطَابِقًا، وَفِيهِ ذِكْرُ
إِسْنَادٍ، مُسْنَدٌ إِلَيْهِ، مُسْنَدٌ ٧ وَمُتَعَلِّقَاتٌ فِعْلٌ تُورَدُ
قَصْرٌ، وَإِنْشَاءٌ، وَفَصْلٌ وَصَلٌّ أَوْ ٨ إِيْجَازٌ أَطْنَابٌ مُسَاوَاةٌ رَأَوَا)
وَخَشْيَةُ التَّكَرَّارِ فِي الْأَبْوَابِ ٩ خَالَفْتُ تَسْهِيلًا عَلَى الطَّلَابِ

البَابُ الْأَوَّلُ

الإِسْنَادُ

فِيهِ الْأَهَمُّ أَضْرَبُ التَّوَكِيدِ ١٠ فَإِنْ يَكُنْ خِطَابٌ ذِي تَرْذِيدٍ
أَكْدَ، وَإِنْ يُنْكَرُ فَرْدٌ، وَالْخَالِي ١١ يَخْلُو، وَخَالِفٌ لِاقْتِضَاءِ الْحَالِ
وَالْفِعْلُ جَاءَ لِلْخُذُوثِ وَالزَّمَنِ ١٢ مُضَارِعٌ مُكَرَّرٌ إِنْ اقْتَرَنَ
وَالِاسْمُ جَاءَ مُثَبِّتَ الْأَحْكَامِ ١٣ قَرِينَةٌ تَزِيدُ لِلدَّوَامِ

البَابُ الثَّانِي

الذِّكْرُ وَالْحَذْفُ

فَلْتَذَكَّرِ الْمَجْهُولَ، مَعْلُومٌ حُذِفَ ١٤ ذَا الْأَصْلُ فِي الْجُزْأَيْنِ، وَارَعَ مَا أَصِفَ
مَقَامَ تَطْوِيلٍ، وَحُبَّ الذِّكْرِ ١٥ وَعَكْسُهُ تَذْرِكُهُ بِالْفِعْرِ
وَالنَّظْمِ وَالسَّجْعِ لَهُ اغْتِبَارٌ ١٦ تَقْيِيدُ فَضْلَةٍ لَهُ أَسْرَارُ
فَحَذْفُهُ لِعَدَمِ التَّعَلُّقِ ١٧ وَالذِّكْرُ كَيْ يُفِيدَ، فَاحْذَرْ وَانْتَقِ

البَابُ الثَّالِثُ

التَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ

الأصل في المعلوم أن يُعرَّفَا ١٨ ثُمَّ البليغ ينتقي ليُثَحِّفَا
=ضَمِيرَ غَائِبٍ لِنَلَّا يُوحِشَا ١٩ وَعَلَمًا يُثْنِي بِهِ أَوْ يُفْحِشَا
إِشَارَةً رَفَعًا، عُمُومٌ بِالصِّلَةِ ٢٠ وَجُمْلَةٌ لَزِيدٍ مَعْنَى حَامِلَةٍ
إِضَافَةً تَشْبِيهِ بِمَدْحٍ ذِمٍّ ٢١ وَاللَّامُ فَاعْرِفَ بَعْدَ هَذَا النَّظْمِ
جَهَالَةَ التَّنْكِيرِ مِنْهَا عَظُمَ ٢٢ قَلِيلٌ، وَفِي سِيَاقٍ نَفِيٍّ عَمِّ

البَابُ الرَّابِعُ التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ

الأصل في التَّقْدِيمِ الإِهْتِمَامُ ٢٣ فِي سِرِّهِ تَخْتَلِفُ الْأَفْهَامُ
مِنْ ذَلِكَ: التَّعْجِيلُ وَالتَّشْوِيقُ ٢٤ وَقَدْ يُزَادُ الْحَصْرُ، ذَا دَقِيقٍ

البَابُ الْخَامِسُ الْقَصْرُ

بِنَفْيِ اسْتِثْنَاءٍ وَتَقْدِيمٍ وَمَا ٢٥ عُرِفَ جُزْأَهُ كَذَا بِإِثْمَا
=قَصْرٌ، عُمُومٌ نَفْيِيٌّ: الْحَقِيقِيُّ ٢٦ عَكْسَ الْإِضَافِيِّ عَلَى التَّحْقِيقِ

البَابُ السَّادِسُ الْإِنْشَاءُ

الْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالْإِسْتِفْهَامُ ٢٧ تَمَنٍّ، النَّدَا هِيَ الْمَرَامُ
فَطَلَبُ الْفِعْلِ، وَكَفٍّ، فَهَمٌ ٢٨ مَحْبُوبٍ، الْإِقْبَالُ، خُذْ مُهِمِّي
=خُرُوجَهَا إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى ٢٩ إِلَّا التَّمَنِّي لِأَدَاةٍ أُخْرَى

البَابُ السَّابِعُ الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ

عِنْدَ انْقِطَاعٍ، اتِّصَالٍ فَصْلٌ ٣٠ كَشِبْهِهِ، تَوَسُّطٌ قُلٌّ: وَصْلٌ
=فِي جُمْلَتَيْنِ اتَّفَقَتْ مَعَ جَامِعٍ ٣١ وَاتْرُكْ لِحُوفِ الْوَهْمِ دَوْمًا وَلَتَعَ

البَابُ الثَّامِنُ الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ وَالْمُسَاوَاةُ

أَطْنَبَ بِإِضْاحٍ وَعَظَفَ كَرَّرَ ٣٢ لِنُكْتَةٍ، أَوْجَزَ بِحَذْفٍ قِصَرَ

عِلْمُ الْبَيَانِ

- (فَنُ الْبَيَانِ عِلْمُ مَا بِهِ عُرِفَ ٣٣ تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِطُرُقٍ مُخْتَلِفٍ
=وُضُوحُهَا وَاحْصُرُهُ فِي الثَّلَاثَةِ ٣٤ تَشْبِيهِ أَوْ مَجَازٍ أَوْ كِنَايَةٍ)
(تَشْبِيهُنَا دَلَالَةً عَلَى اشْتِرَاكِ ٣٥ أَمْرَيْنِ فِي مَعْنَى بِأَلَةٍ أَتَاكَ)
فَفَصِّلِ الْوَجْهَ أَوْ اخْذِفْ مُجْمَلًا ٣٦ أَكْثِدْ بِحَذْفِ آلَةٍ أَوْ أَرْسِلَا
وَبِالْوَفَا بِغَرَضٍ مَقْبُولٍ ٣٧ أَوْ رُدِّ، تَقْسِيمًا تَطَوُّلُ
لَفْظٍ قَدْ اسْتَعْمَلَ فِي مَعْنَاهُ ٣٨ حَقِيقَةً، مَجَازًا سِوَاهُ
ذَا اللَّغَوِيِّ بِعِلَاقَةٍ قُسِمَ ٣٩ فَالْأَوَّلُ اسْتِعَارَةٌ وَتَنْقِسِمُ:
مَعْنِيَّةٌ تَخْفَى وَتَصْرِيحِيَّةٌ ٤٠ وَهِيَ عَلَى تَشَابُهِهِ مَبْنِيَّةٌ
وَالثَّانِ مُرْسَلٌ كَجُزءٍ، كُلِّ ٤١ مُسْتَقْبَلٍ، مَاضٍ، وَنَسَبُ الْفِعْلِ
لِغَيْرِ مَا يُبْنَى لَهُ قُلْ: عَقْلِي ٤٢ كَزَمَنِ مُلَابِسٍ لِلْفِعْلِ
مَفْعُولٍ أَوْ فَاعِلٍ أَوْ مَكَانٍ ٤٣ قَرِينَةُ الْمَجَازِ شَرْطُ ثَانٍ
فَاللَّغَوِيُّ فِي اللَّفْظِ، وَالْعَقْلِيُّ فِي ٤٤ الْإِسْنَادِ، مَنْعُ أَصْلِ هَذَيْنِ اقْتَفَ
وَجَازَ قَصْدُ الْأَصْلِ فِي الْكِنَايَةِ ٤٥ عَنْ صِفَةِ مَوْصُوفٍ أَوْ عَنْ نِسْبَةِ

عِلْمُ الْبَدِيعِ

- بَعْدَهُمَا التَّحْسِينُ ذَا الْبَدِيعِ ٤٦ لَفْظِيَّةُ: الْجِنَاسُ، وَالتَّسْجِيعُ
كَذَاكَ رُدُّ عَجْزٍ لِلصَّادِرِ ٤٧ وَالْمَعْنَوِيَّةُ: اللَّفْظُ نَشْرٌ، وَرَّ
كَذَا الطَّبَاقُ، وَمُرَاعَاةُ النَّظِيرِ ٤٨ تَجَاهُلُ الْعَارِفِ بِالسَّوْقِ شَهِيرُ
وَأِنْ تُرِدْ تَمْيِيزَ حُسْنِ الْمَعْنَى ٤٩ فَضَعْ مُرَادِفًا لِيَتَلَقَّى الْحُسْنُ
أَلْحَقْ تَأْتِقًا بِبَدْءٍ انْتِقَالُ ٥٠ خَتْمٌ، بِهِذَا تَمَّ مِنِّي ذَا الْمَقَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^١.

أما بعد فإنَّ علم البلاغة من أهم العلوم وأنفعها، وقد أولاه العلماء عنايةً فائقةً، وحُقَّ لهم العناية به؛ فإنَّ علمًا تزداد به فهمًا لكتاب ربك وسنة نبيك -صلى الله عليه وسلم- حريٌّ بك أنْ تقف معه وقوفًا طويلاً حتى تنالَ مُبتغاك وتظفرَ بطلبتك وتقضي منه نَهْمَتَكَ.

ومن فوائد هذا العلم بل فائدة هذا العلم التي هي أعظم فوائده: الوقوف على بلاغة القرآن وأنْ تضع يدك على مواطن الإعجاز فيه، فيزيد بذلك الإيمان واليقين، مع ما في هذا العلم من تدوُّقٍ للكلام البليغ وتمييزٍ لجيد القول من رديئه، واقتدارٍ دارسه على تأليف الكلام البليغ ومعرفةٍ ما يُلائم السياق من تقديم أو تأخير أو ذكرٍ أو حذفٍ ونحو ذلك.

ومع شرفِ هذا العلم وعظيم قدره إلا أنَّه كما يقول الباقلاني^٢: "علمٌ قليلُ الطُّلاب، ضعيفُ الأصحاب، ليست له عشيرةٌ تحميه، ولا أهلٌ عصمة تغطُّ لِمَا فيه".

[نبذة في تاريخ علم البلاغة]

كان هذا العلم منثورًا في كتب التفسير عند بيان إعجاز القرآن، وفي كتب شرح الشعر ونقده، وكان بعضُه أيضًا منثورًا في كتب النحو **كتاب سيبويه** فإنَّه تكلم عن مقاصد البلغاء وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، وتكلم عن التقديم والتأخير والذكر والحذف والتعريف والتنكير، وهذه كلها مسائل من صميم علم البلاغة بل إن الشاطبي يرى أن سيبويه هو مستنبط علم البلاغة ومؤسسه^٣.

ولم تزل مسائل هذا العلم تكمل شيئًا فشيئًا، وتتوالى الكتب التي يُذكرُ فيها شيءٌ من مسائله حتى حُصَّ بالتأليف، فألف ابنُ المعتز -ال خليفة العباسي الذي مكث في الخلافة يومًا واحدًا- كتابه **البيدع** وذكر فيه سبعة عشر نوعًا مما بُني عليه علم البلاغة فيما بعد، وكان اسمُ البيدع عنده واسعًا فذكر فيه الاستعارة والكناية وهما من علم البيان على ما استقر عليه الاصطلاح.

ثم توالى الكتب بعد ذلك حتى جاء المؤسس الحقيقي لعلم البلاغة الذي بسط القول فيه بقلمه الماتع ورفع قواعده وأحكم بناءه وهو شيخ البلاغيين عبدُالقاهر الجرجاني فألف كتابه **دلائل**

^١ أصل هذه الأوراق شرح صوتي على نظم زبدة البلاغة وقد أطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها فراجعها وأعاد صياغة مواضع منها.

[رابط الشرح الصوتي](#)

^٢ في كتاب إعجاز القرآن ص ١٨٤.

^٣ انظر: المواقفات (٥٤/٥)

الإعجاز في علم المعاني وأسرار البلاغة في علم البيان وقد أرسى فيهما قواعد علمي المعاني والبيان، وانتفع بما كتبه سيبويه أيما انتفاع، وكان قبل ذلك آية في النحو.

ثم جاء السكاكي وألف كتابه **مفتاح العلوم** فهدب فيه مسائل العلم ورتب أبوابه وأظهر علم البلاغة بصورته الأخيرة وقد اقتبسه من كتابي عبدالقاهر الجرجاني ومن كشف الزمخشري الذي طبق في تفسيره هذا ما قاله الجرجاني، وقد ذكر السكاكي في كتاب مفتاح العلوم علم الصرف وعلم النحو وما يلحق بهما من العروض والقافية.

ثم جاء الخطيب القزويني واختصر قسم البلاغة من مفتاح السكاكي في كتابه **تلخيص المفتاح** ثم وضع كتاباً آخر كالشرح له اسمه **الإيضاح**.

وجهودُ عامة البلاغيين بعد الخطيب القزويني حتى يوم الناس هذا تدور على كتابيه هذين إقرأً وشرحاً وتعليقاً، وصار كتابه تلخيص المفتاح عند البلاغيين بمثابة مقدمة ابن الصلاح عند المحدثين وجمع الجوامع عند الأصوليين فكثرت أنظامه وشروحه، وفي العصر الحديث كتب كثيرة نافعة في علم البلاغة.

وهذه مدارس لمنظومة هي خلاصة الخلاصة في هذا الفن وهي **زبدة البلاغة** للشيخ محمد نصيف -وفقه الله وأدام نفعه وأجرى الخير على يديه- وهي منظومة سهلة العبارة حسنة السبك في خمسين بيتاً تقف بك على علوم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، والمهم من مسائلها التي تحسن معرفتها بالطالب المبتدئ في هذا الفن.

قال الناظم -وفقه الله تعالى:-

بسم الله الرحمن الرحيم

حَمْدًا لِرَبِّي وَأَصَلِّي دَائِمًا	عَلَى النَّبِيِّ خُذْ زُبْدَةً وَلْتُحْكِمَا
بَلَاغَةَ الْكَلَامِ بِالمُطَابَقَةِ	لِلْحَالِ مَعَ فَصَاحَةٍ مُحَقَّقَةِ
=بَيْسُرِ نُطْقٍ، وَوُضُوحِ مَعْنَى	وَصِحَّةِ التَّرْكِيبِ -قُلْ- وَالْمَبْنَى
لِطَبْقِ حَالٍ وَضَعُوا الْمَعَانِي	وَيُعْرِفُ الْوُضُوحُ بِالْبَيَانِ
وَيَسْلُمُ الْمَعْنَى مِنَ التَّعْقِيدِ	وَالْحُسْنُ بِالْبَدِيعِ ذِي التَّجْدِيدِ

الشرح:

قال -وفقه الله:- **(بسم الله الرحمن الرحيم حَمْدًا لِرَبِّي وَأَصَلِّي دَائِمًا عَلَى النَّبِيِّ)** ابتداء -وفقه الله- بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي من آداب التصنيف ثم قال: **(خُذْ زُبْدَةً)** أي خُذْ هذه الخلاصة في علم البلاغة، وفيه مع ذلك إشارة إلى أصل هذه

المنظومة **زبدِ البلاغة** وهو متن مختصر منشور في البلاغة نظمه في هذه الأبيات قال: **(وَلْتَحْكِمَا)** أي وَلْتَتَقَنَّ هذه المسائل التي تضمنتها المنظومة.

ثُمَّ قَالَ:

بَلَاغَةُ الْكَلَامِ بِالمُطَابَقَةِ لِلْحَالِ مَعَ فَصَاحَةٍ مُحَقَّقَةٍ

يقول: إنَّ بلاغة الكلام تحصلُ باجتماع أمرين:

الأول: مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

والآخر: فصاحته، وأخَّرَ الكلام عنه.

والحال: هو السبب الداعي إلى التكلُّم على وجهٍ مخصوصٍ فمثلاً: كونُ المخاطَبِ يُواجهُ خطراً مفاجئاً هذه حالٌ تستدعي أن تختَصِرَ له الكلام وتَحْذِفَ كل ما يمكن حذفه فتقول لمن أمامه حفرة مثلاً لم يرها تخشى أن يسقط فيها: "حفرة" وتحذف: "احذر" أو "أمامك" ولا تطوِّل كلامك فيسقط قبل أن يفهم عنك ما تريد أن تحذِّره منه، وإذا كان المقام مقام مدح فينبغي أن يُطَنَّب المتكلم في ذكر صفات الممدوح وأن يقتصد في غيرها فإذا ابتدأ بالنسيب مثلاً فلا يطيل فيه ولا يكون كذلك الأعرابي الذي وَفَدَ على نَصْرِ بن سيَّار ليمدحه فقال قصيدةً مئة بيتٍ منها في الغزل ثم ختم ببيتين مدحه فيهما في آخر قصيدة فقال له نصر: والله ما تركت قافيةً لطيفةً ولا معنًى حسناً إلا شغلت به نسيبك دون مدحك فإن أردت مدحي فاقصد في النسيب فقال: سأصلح من غدٍ إن شاء الله، فجاءه من الغد بقصيدةٍ جَعَلَ النسيب فيها في شطر بيت والباقي في مدح نصر قال:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لِأَمِّ الغَمْرِ دَعُ ذَا وَحَبْرٍ مِدْحَةً فِي نَصْرِ

فقال له نصر: لا ذاك ولا هذا ولكن بين الأمرين^٤.

فإذا جاء الكلام مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته فهو كلام بليغ، فكونُ الكلام فصيحاً لا يكفي لوصفه بالبلاغة بل لا بُدَّ مع ذلك من مطابقة مقتضى الحال، وبهذا يتضح أنَّ من المُهِمِّ لِمَنْ أراد أن يعرف بلاغة القرآن أن يعرف الحال التي نزلت فيها الآيات من أسباب نزولٍ ومكيٍّ ومدنيٍّ فمثلاً إذا عرفت أنَّ خطاب بني إسرائيل في أول سورة البقرة نزل في أول الهجرة وأنَّ سورة الجمعة نزلت بعد عام خيبر تبينَ لك الفرقُ الشاسعُ في الخطابِ بينَ قوله تعالى في سورة البقرة التي نزلت في أول الهجرة: **(يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)** وبين قوله تعالى في سورة الجمعة بعد أن نقضوا العهود

^٤ انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٧٧/١)، والعقد لابن عبدربه (١٨٦/٧).

وغدروا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ولا بأس أن نأخذ أمثلة لمسألة مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

١- أنشد منشد في زفافٍ قصيدةً آخرها:

فَلَيْتَ شِعْرِي وَالدُّنْيَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ الرِّفَاقِ وَأَيَّامِ الْوَرَى دَوْلُ

هل تَرْجِعُ الدَّارَ بَعْدَ الْبُعْدِ أَنْسَاءً؟ أَمْ هَلْ تَعُودُ لَنَا أَيَّامُنَا الْأَوَّلُ؟

هذا كلامٌ فصيحٌ لا خلل فيه ولا عيب لكنه ليس بليغاً؛ لأنه غير مطابق لمقتضى الحال.

٢- قرأ قارئٌ في زفافٍ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فهذا قارئٌ بليغٌ لكن لو أنه قرأ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

فهذا القارئٌ ليس بليغاً؛ لأنه لم يطابق مقتضى الحال.

٣- قال بعضهم لبشار بن بُرْد: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت قال: وما ذاك؟ قال:

بينما أنت تثير النَّقْعَ وتخلع القلوب إذ تقول:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِّيَةً هَتَكُنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمَطِّرَ الدَّمَ

نراك تقول:

رَبَابَةٌ رَبَّةُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الزَّيْتِ

لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال بشارٌ: لكلِّ وَجْهٌ وموضعٌ فربابةٌ جاريتي لها عشرُ دجاجاتٍ وديك، تجمع لي البيض،

وأنا لا أكلُ البيض من السوق، وهذا القول عندها أحسن من:

"قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل".

هذا الأول مما تحصل به بلاغة الكلام وهو مطابقته لمقتضى الحال.

والآخر: فصاحته قال: (مَعَ فَصَاحَةٍ مُحَقَّقَةٍ) وتحقق الفصاحة بأربعة أمور ذكرها في البيت الذي بعده.

قال:

بِئْسَ نَطْقٌ، وَوُضُوحٌ مَعْنَى وَصِحَّةُ التَّرْكِيبِ -قُلْ- وَالْمَبْنَى

الفصاحة تُوصَفُ بها الكلمة والكلام والمتكلم.

[فصاحة الكلمة]

نبدأ بفصاحة الكلمة قال: **(بيسر نطق)** ويُعبَّرُ عنه بالسلامة من التنافر، والتنافر: وصف في الكلمة يُوجب ثقلها على اللسان وعُسْر النطق بها، ومنه: الهُجْعُ في قول أعرابيٍّ وقد سُئِلَ عَنْ نَاقَتِهِ فقال: "تركْتُها ترعى الهُجْعُ" وهو نبتٌ ترعاه الإبل فهذه الكلمة غير فصيحة؛ لأنَّها لم تسلم من التنافر، قال: **(بيسر نطق)** وهي ليست يسيرة النطق.

الثاني: وضوح المعنى ويُعبَّرُ عنه بالسلامة من الغرابة والغرابة: أن تكون الكلمة غير ظاهرة المعنى بحيث يُحتاج لمعرفة معناها إلى البحث عنها في كتب اللغة والمقصودُ غرابتها على العرب الخُص لا على العامة. ومنه ما يروى أن بعض النحاة كان راكباً حماراً فسَقَطَ فاجتمعَ الناسُ عليه فقال: "ما لَكُمْ تَكَأَكُأْتُمْ عَلَيَّ كَتَكَأَكُكُم عَلَيَّ ذِي جِنَّة؟ افرنقوا عني" "النَّكَأُكُو" الاجتماع، "اَفَرَنَقُوا" تَنَحَّوْا وَتَفَرَّقُوا.

مسألة: هل يصلح أن يُمثَّلَ بـ"تَكَأَكُأْتُمْ" للتنافر؟ الجواب: نعم، إذن فالكلمة غير فصيحة لأنها اختلَّ فيها الشرطان السلامة من التنافر والسلامة من الغرابة، قال: **(بيسر نطق)** والكلمة ليست يسيرة للنطق، قال: **(ووضوح معنى)** والكلمة ليست واضحة المعنى.

ثم قال: **(وصحة التركيب)** هذا سيأتي إن شاء الله في الكلام عن فصاحة الكلام.

ثم قال: **(قل والمبنى)** الشرط الثالث: صحة المبنى والمقصود موافقتها للقانون الصرفي، فإن كانت الكلمة على خلاف القانون الصرفي كالفكِّ فيما يجب إدغامه وعكسه لم تكن فصيحة ومنه قول أبي النجم العجلي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ الْوَاسِعِ الْفَضْلِ الْوَهَّابِ الْمُجَزِلِ

القانون الصرفي يقتضي أن يُقال: الْأَجَلِّ.

إذن لفصاحة الكلمة ثلاثة شروط:

الأول: السلامة من التنافر بين حروفها وهو ما عبَّرَ عنه بيسر النطق.

الثاني: السلامة من الغرابة في معناها وهو ما عبَّرَ عنه بوضوح المعنى.

الثالث: موافقتها للقانون الصرفي وهو ما عبَّرَ عنه بصحة المبنى.

[فصاحة الكلام]

أما فصاحة الكلام فتشترط له ثلاثة شروط مع فصاحة كلماته:

الشرط الأول: عدم التنافر بين كلماته وهو وصف في الكلام يوجب ثقله على اللسان وعسر النطق به وإن كانت كل كلمة من كلماته فصيحةً، مثاله قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

فكلمات: (وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ) إذا نظرت إلى كل كلمة منها على حدة وجدت أنها ليست متنافرة الحروف، لكن باجتماع هذه الكلمات حصل التنافر فاختلّت فصاحة الكلام.

وقد ذكروا أنه من شعر الجنّ، وأنه لا يتهيأ لأحد أن يكرره ثلاث مرات فلا يتتبع فيه.

وهذا الشرط الأول لفصاحة الكلام داخل في قول النّاطم: **(بيسر نطق)** فيُسّر النطق يكون في الكلمة وفي الكلام.

الشرط الثاني: وضوح المعنى ويعبر عنه بالسلامة من التعقيد، والتعقيد نوعان: تعقيد في اللفظ وتعقيد في المعنى.

فالتعقيد في اللفظ: أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المراد لخلل في نظم الكلام بسبب تقديم أو تأخير أو حذف أو غير ذلك مما يُوجب صعوبة فهم المعنى المراد ومنه قول الفرزدق يمدح إبراهيم المخزوميّ خال هشام بن عبد الملك:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يَقَارِبُهُ

والأصل: وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يَقَارِبُهُ إِلَّا مُمَلَّكًا أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ

أبو أم الملك أبو هذا الممدوح إذن ما قرابة الممدوح للملك؟ الجواب: الممدوح خال الملك فهذا تعقيد في اللفظ.

النوع الآخر: التعقيد في المعنى وهو أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المراد كأن يستعمل المتكلم مجازاً أو كناية غير مألوفة في الاستعمال كأن يقول: نَشَرَ الأُمَيْرُ ألسنته وهو يقصد جواسيسه الذين يأتونه بأخبار الناس، والصواب أن يُقَالَ: نَشَرَ عيونه، كي يفهم مراده، أما نَشَرَ ألسنته فالمتبادر منه خطباؤه المتحدثون باسمه، فهذا تعقيد في المعنى.

ثم قال: **(وصحة التركيب)** الشرط الثالث لفصاحة الكلام: صحة التركيب وهو ما يعبر عنه بالسلامة من ضعف التأليف والمراد بضعف التأليف أن يكون الكلام مخالفاً للمشهور عند النحاة كعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً، مثاله: ضَرَبَ غلامه زيداً، فالضمير هنا عاد على متأخر لفظاً ورتبةً، وبيانه أن (زيداً): متأخر في اللفظ عن (غلامه) وهو متأخر في الرتبة أيضاً؛ لأن رتبة المفعول به بعد رتبة الفاعل، فالضمير هنا في قوله: (غلامه) عاد على (زيداً) الذي بعده وهو متأخر في اللفظ فذكره بعد ذكر الضمير، ومتأخر أيضاً في الرتبة؛

° روي برفع "قفر" على أنه نعت مقطوع، وبالجذر وعلى الجر يكون في البيت إقراء وهو من عيوب الشعر.

لأنَّ رتبة المفعول به متأخرة عن رتبة الفاعل فهذا الكلام غير فصيح؛ لأنه مخالف للمشهور عند النحاة قال ابن مالك: **(وَشَدَّ نَحْوُ زَانَ نَوْرُهُ الشَّجَرُ)**

إذن لفصاحة الكلمة ثلاثة شروط ولفصاحة الكلام ثلاثة شروط.

[فصاحة المتكلم]

أما المتكلم الفصيح: فهو مَنْ له ملكة يقتدر بها على تأدية مراده بالكلام الفصيح.

والبلاغة يُوصَفُ بها الكلام والمتكلم ولا تُوصَفُ بها الكلمة المفردة.

سبق أن الكلام البليغ هو ما توفر فيه شرطان: الفصاحة والمطابقة للحال كما قال:

بَلَاغَةُ الْكَلَامِ بِالْمُطَابَقَةِ لِلْحَالِ مَعَ فَصَاحَةٍ مُحَقَّقَةٍ
والمتكلم البليغ: هو مَنْ له ملكة يقتدر بها على تأدية مراده بالكلام البليغ.

ثم قال -وفقه الله-: **(لِطَبْقِ حَالٍ وَضَعُوا الْمَعْنَى)** يعني أن البلاغيين وضعوا لمطابقة الكلام لمقتضى الحال علمًا هو علم المعاني لِيُخْتَرَزَ بِهِ عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وهذه هي فائدة علم المعاني.

قال:

وَيُعْرِفُ الْوُضُوحَ بِالْبَيَانِ

وَيَسْلَمُ الْمَعْنَى مِنَ التَّعْقِيدِ

يعني أنَّهم وضعوا لوضوح المعنى والسلامة من التعقيد المعنوي علمًا هو علم البيان ففائدة علم البيان وضوح المعنى والسلامة من التعقيد المعنوي.

قال: **(وَالْحُسْنُ بِالْبَدِيعِ ذِي التَّجْدِيدِ)** يعني أنَّهم وضعوا لما يزيد به حسن الكلام وجماله علمًا هو علم البديع فصار علم البلاغة هذه العلوم الثلاثة المعاني والبيان والبديع.

وقوله: **(ذِي التَّجْدِيدِ)** ليس تنميماً للبيت بل أراد أن ما يحسن به الكلام متجدد فيمكن للمتأخر أن يُضيف فنوناً بديعية لم يذكرها من سبقه لكثرة المحسنات وعدم انحصارها.

علم المعاني

(عِلْمٌ بِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ يُرَى لَفْظٌ مُطَابِقًا، وَفِيهِ ذِكْرًا
إِسْنَادًا، مُسْنَدٌ إِلَيْهِ، مُسْنَدٌ وَمُتَعَلِّقَاتٌ فِعْلٌ ثَوْرَدُ
قَصْرٌ، وَإِنْشَاءٌ، وَفَصْلٌ وَصَلٌّ أَوْ إِيْجَازٌ أَطْنَابٌ مُسَاوَاةٌ رَأَوَا)
وَحَشْيَةٌ التَّكْرَارِ فِي الْأَبْوَابِ خَالَفَتْ تَسْهِيلًا عَلَى الطَّلَابِ

علم المعاني هو أنفع علوم البلاغة الثلاثة وأعظمها فائدة، وهو من أعظم ما يحتاج إليه المتدبر للقرآن، والباحث عن أسرارهِ وإشاراته، والراغب في معرفة سر إعجازه.

الآبيات الثلاثة الأولى مضمَّنة من الجوهر المكنون وهي تمهيدٌ بين يدي الكلام عن علم المعاني وقد تضمنت شيئين:

الأول: تعريف علم المعاني، والثاني: سرد أسماء أبوابه.

قال في تعريفه: **(علم به لمقتضى الحال يرى لفظ مطابقا)** وكلمات البيت فيها تقديم وتأخير، فترتيب كلمات البيت: علمٌ يرى به لفظٌ مطابقاً لمقتضى الحال.

فعلم المعاني: علمٌ تُعرَف به أحوال اللفظ العربي التي بها يُطابق الكلامُ مقتضى الحال.

فاللفظ العربي له أحوال متعددة من ذكر وحذف وتعريف وتنكير وتقديم وتأخير، وعلمُ المعاني ينظر إلى هذه الأحوال من جهة مطابقتها لما يقتضيه الحال فمثلاً قد يعبر عن انطلاق زيد بتراكيب مختلفة فيقال: انطلق زيد أو ينطلق زيد أو زيدٌ منطلق أو زيد هو المنطلق أو المنطلق زيد أو والله لقد انطلق زيد، فهذه العبارات كلها تشترك في تأدية أصل المعنى لكنَّ كلاً منها تناسب حالة معينة بحيث لو عبّر بها في تلك الحالة كان الكلام مطابقاً لمقتضى الحال. مثلاً والله لقد انطلق زيد، تناسب حال إنكار السامع الخبر وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

ثم سرد أبواب علم المعاني وهي ثمانية أبواب:

.....
إِسْنَادٌ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ مُسْنَدٌ وَمُتَعَلِّقَاتٌ فِعْلٌ ثَوْرَدُ
قَصْرٌ وَإِنْشَاءٌ وَفَصْلٌ وَصَلٌّ أَوْ إِيْجَازٌ أَطْنَابٌ مُسَاوَاةٌ رَأَوَا
قال: **(وَفِيهِ ذِكْرًا)** أي ذَكَرَ في علم المعاني.

(إِسْنَادُ) الباب الأول: باب الإسناد.

(مُسْنَدٌ إِلَيْهِ) الباب الثاني: باب المسند إليه.

(مُسْنَدٌ) الباب الثالث: باب المسند.

(وَمُتَعَلِّقَاتُ فِعْلٍ تُورَدُ) الباب الرابع: باب متعلقات الفعل.

(قَصْرٌ) الباب الخامس: باب القصر.

(وإنشاء) الباب السادس: باب الإنشاء.

(وَفَصْلٌ وَصَلٌ) الباب السابع: الفصل والوصل.

(أو إيجاز أطناب مُساواة رَأَوْا) الباب الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة.

وهذا الترتيب للأبواب هو الذي اعتمده معظم المؤلفين في البلاغة.

ثم قال الناظم -وفقه الله-:

وَحَشْيَةُ التَّكَرَّارِ فِي الْأَبْوَابِ خَالَفَتْ تَسْهِيلاً عَلَى الطَّلَابِ

يقول: إنّه خالف في بعض الترتيب السابق لأمرين:

١- خشية تكرار المسائل في الأبواب ٢- وتسهيلاً على الطلاب.

وذلك أن كثيراً من أحوال المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل متشابهة فبَوَّبَ بتلك الأحوال فجاءت الأبواب على هذا الترتيب:

الباب الأول عند الناظم: الإسناد، والثاني: الذكر والحذف، والثالث: التعريف والتنكير، والرابع: التقديم والتأخير، ثم بقية الأبواب على الترتيب السابق فالخامس: القصر، والسادس: الإنشاء، والسابع: الفصل والوصل، والثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة.

فالمخالفة إنّما كانت في الباب الثاني والثالث والرابع للغرض السابق.

ثمّ قال -وفقه الله تعالى ونفع به-:

**البَابُ الْأَوَّلُ
الإِسْنَادُ**

فَإِنْ يَكُنْ خِطَابُ ذِي تَرْدِيدٍ	فِيهِ الْأَهَمُّ أَضْرَبُ التَّوَكِيدِ
يَخْلُو، وَخَالَفَ لِاقْتِضَاءِ الْحَالِ	أَكْدَ، وَإِنْ يُنَكِّرُ فَرَدَ، وَالْخَالِي
مُضَارِعٌ مُكَرَّرٌ إِنْ اقْتَرَنَ	وَالْفِعْلُ جَاءَ لِلْحُدُوثِ وَالزَّمَنِ

وَالِاسْمُ جَاءَ مُثَبِّتَ الْأَحْكَامِ قَرِينَةً تَزِيدُ لِلدَّوَامِ

الشرح:

هذا الباب الأول: وهو باب الإسناد.

الإسناد: نسبة حكم إلى اسم إيجاباً أو سلباً كَقَامَ زَيْدٌ، وَلَمْ يَقَمْ زَيْدٌ، وَزَيْدٌ قَائِمٌ، وَزَيْدٌ لَيْسَ بِقَائِمٍ. والجملة تتكون من مسند ومسند إليه، فالمسند إليه في الجملة الاسمية هو المبتدأ، وفي الجملة الفعلية هو الفاعل، والمسند في الجملة الاسمية هو الخبر، وفي الجملة الفعلية هو الفعل، ففي قولك: قَامَ زَيْدٌ، المسند إليه: زَيْدٌ، والمسند: قام. وفي قولك: زَيْدٌ قَائِمٌ، المسند إليه: زيد، والمسند: قائم.

قال: **(فِيهِ الْأَهَمُّ أَضْرَبُ التَّوَكُّيدِ)** يقول: أهمُّ مسألةٍ في باب الإسناد أضرب التوكيد، الأضرب جمع ضَرَبٍ. والضَّرْبُ: النوع.

يُعَبِّرُ البلاغيون عن هذه المسألة بأضرب الخبر، ويعنون بها أضرب الخبر بالنظر إلى التوكيد لذا عبر الناظم بقوله: أضرب التوكيد.

قال:

فَإِنْ يَكُنْ خِطَابُ ذِي تَرْدِيدٍ
أَكْثَرُ، وَإِنْ يُنْكَرُ فَرْدٌ، وَالْخَالِي يَخْلُو، وَخَالَفَ لِاقْتِضَاءِ الْحَالِ

الخبر بالنظر إلى حال المخاطب عند إلقاء الخبر ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: **الضرب الابتدائي**: وهو الذي يكون المخاطب فيه خالي الذهن من الخبر، فيلقى إليه الخبر خالياً من التوكيد.

الضرب الثاني: **الضرب الطلبي**: وهو الذي يكون المخاطب فيه متردداً فيحسُّ إلقاء الخبر إليه مُؤَكَّدًا بمؤكَّدٍ واحد.

الضرب الثالث: **الضرب الإنكاري**: وهو الذي يكون المخاطب فيه منكراً فيجب التوكيد له بحسب قوة إنكاره.

تقول لخالي الذهن: سافر زيد.

وللمتردد: قد سافر زيد جئت بمؤكد واحد هو قد.

وللمنكر: والله قد سافر زيد، فإن زاد إنكاره زدت في التوكيد تقول: والله لقد سافر زيد، والقسم أقوى المؤكدات.

وأشهر مثال عند البلاغيين لزيادة التوكيد بسبب زيادة الإنكار قوله تعالى في قصة أصحاب القرية في سورة يس: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إذن الخطاب لمنكرين ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أكد بثلاثة مؤكدات هي إن، وتقديم الجار والمجرور ففيه اهتمام وتوكيد، والثالث اسمية الجملة، ثم زاد الإنكار: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ فزاد التوكيد: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾ جاء التوكيد بقولهم: "رَبَّنَا يَعْلَمُ" وهذا جار مجرى القسم، والفقهاء يقولون: من قال: رَبَّنَا يَعْلَمُ كذا وأراد به الحلف كان من اليمين يأخذ أحكامها، قال في نظم الكفاف:

وَرَبَّنَا يَعْلَمُ مَنْ يُرِدْ بِهِ حَلْفًا يَكُنْ حِينَئِذٍ مِنْ حِزْبِهِ

أي يكن من اليمين.

فجاء التوكيد بقولهم: "رَبَّنَا يَعْلَمُ" وباللام مع المؤكدات الثلاثة السابقة فهذه خمس مؤكدات: رَبَّنَا يَعْلَمُ، وإن، واللام، وتقديم الجار والمجرور، واسمية الجملة.

وإجراء أضرب الخبر على وفق ما سبق بالأ توكيد لخالي الذهن، وأن تؤكد بمؤكدٍ للمتردد، وأن تؤكد بمؤكدات للمنكر هذا يسمى إجراء أضرب الخبر على مقتضى الظاهر.

وقد يُجْزَوْنَ أضرب الخبر على خلاف مقتضى الظاهر وهذا الذي قال فيه: **(وَخَالَفَ لَاقْتِضَاءِ الْحَالِ)** ونأخذ صورتين من صورته:

الصورة الأولى: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر كأن تقول لإنسانٍ مسلمٍ لكنه مسرف على نفسه بالمعاصي: والله إن بعد الموت لحسابًا، هو لا ينكر الحساب فكان مقتضى الظاهر ألا تؤكد الكلام له؛ لأنه مُقَرَّرٌ غير منكر لكن لما كانت تصرفاته بإسرافه على نفسه بالمعاصي تشبه تصرفات المنكرين خُوطِبَ بِخُطَابِ المنكرين، ومنه في القرآن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ فالموت لا ينكره أحد لكن لما كانت تصرفات أكثر الناس من الغفلة تشبه تصرفات من ينكر الموت نُزِّلُوا منزلة منكري الموت فأكد لهم الكلام مع أنهم يقرون بالموت.

قال السيوطي في عقود الجمان:

كَقَوْلِنَا لِمُسْلِمٍ وَقَدْ فَسَقَ: يَأَيُّهَا الْمُسْكِينُ إِنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ

الصورة الثانية: تنزيل المنكر منزلة غير المنكر كأن تقول لملحد: الله موجود هكذا دون توكيد -مع أنه منكر- لأن حوله من الأدلة ما لو تأمله لارتدع عن إنكاره، هو نفسه دليل على وجود الله، وتقول للكافر: الإسلام حق هكذا بدون توكيد -مع أنه منكر- لأن حوله من الأدلة

ما لو تأمله لارتدع عن إنكاره ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ هذه الآية في سورة النحل وسورة النحل مكية، والخطاب فيها للمشركين المنكرين، ومع ذلك جاءت خالية من التوكيد؛ لأن الآيات من أول السورة ذكّرت من أدلة استحقاقه - سبحانه وتعالى - أن يُفرد بالعبادة ما يزيل إنكار كل منكر قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، إلى آخر الآيات فقبل قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ من الأدلة على وحدانية الله سبحانه وتعالى واستحقاقه أن يُفرد بالعبادة ما يزيل إنكار كل منكر لذا أُلقيَ إلى المنكر الكلام خاليًا من التوكيد.

هذا قوله: **(وَخَالَفَ لِإِقْتِضَاءِ الْحَالِ)** فقد تُخاطب غير المنكر بخطاب المنكر، وقد تُخاطب المنكر بخطاب غير المنكر.

ثم قال:

وَالْفِعْلُ جَاءَ لِلْحُدُوثِ وَالزَّمَنِ مُضَارِعٌ مُكَرَّرٌ إِنْ اقْتَرَنَ

وَالِاسْمُ جَاءَ مُثَبِّتَ الْأَحْكَامِ قَرِينَةً تَزِيدُ لِلدَّوَامِ

أشار هنا إلى دلالة الفعل ودلالة الاسم وهي مسألة مهمة، فالفعل له دالتان وضعيتان هما الحدث والزمن، قال: **(وَالْفِعْلُ جَاءَ لِلْحُدُوثِ وَالزَّمَنِ)** معنى الحدث: حصول الشيء بعد أن لم يكن، والزمن: يقصد به التقيد بزمن من الأزمنة الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل.

فإذا قلت: اجتهد زيد فإنَّ للفعل (اجْتَهَدَ) هنا دالتين وضعيتين. الدلالة الأولى: حدوث الاجتهاد بعد أن لم يكن، والثانية: تقييد الاجتهاد بالزمن الماضي.

وإذا قلت: يجتهد زيد فإنَّ للفعل (يَجْتَهِدُ) هنا دالتين وضعيتين. الأولى: حدوث الاجتهاد بعد أن لم يكن، والثانية: تقييد الاجتهاد بالزمن الحاضر.

وإذا قلت لزيد: اجْتَهِدْ فإنَّ للفعل (اجْتَهِدْ) هنا دالتين وضعيتين. الأولى: الدلالة على أن الاجتهاد لم يحصل بعد، والثانية: تقييد طلب الاجتهاد بالزمن المستقبل.

وقد يعبر عن الحدث بالتجدد الحدوثي.

وَيُخْتَصُّ الفعل المضارع بدلالة ثالثة لا يشاركه فيها الماضي والأمر وهي دلالة تُستفاد من القرائن وهي دلالاته على التجدد الاستمراري: وهو حصول الشيء مرة بعد أخرى بحيث يكون استمراره غير متصل وهو الذي أراده بقوله: **(مُضَارِعٌ مُكَّرَّرٌ إِنْ أَقْتَرَنُ)** أي أنّ المضارع يفيد التجدد الاستمراري إذا دلت القرائن على ذلك.

ثم قال -وفقه الله-:

وَالِاسْمُ جَاءَ مُثَبِّتَ الْأَحْكَامِ قَرِينَةً تَزِيدُ لِلدَّوَامِ
 للاسم دالتان الثبوت والدوام ودلالاته على الثبوت دلالة وضعية ودلالاته على الدوام بالقرينة والسياق، والمقصود بالثبوت: مجرد إثبات الشيء للشيء، فإذا قلت الجدار أبيض فهذا يفيد مجرد إثبات البياض للجدار دون تعرّض لشيء آخر، والدلالة الثانية التي يفيدها الاسم بالقرينة والسياق الدوام مع الثبوت السابق أي إثبات الشيء للشيء إثباتاً دائماً متصلاً.

قال: **(وَالِاسْمُ جَاءَ مُثَبِّتَ الْأَحْكَامِ)** هذه دلالاته على الثبوت **(قَرِينَةً تَزِيدُ لِلدَّوَامِ)** هذه الدلالة الثانية التي يفيدها الاسم بالقرينة وهي الدوام، أي أن يكون إثبات الشيء للشيء إثباتاً دائماً متصلاً فالثبوت غير الدوام.

قال تعالى: **(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)** فمجيء الاسم هنا (خاشعون) يدل على دوام خشوعهم، وقد سبق أنّ الدلالة الوضعية هي الثبوت وأن إفادة الاسم الدوام يكون بالقرائن، والقرينة الدالة على الدوام هنا أن الكلام في المدح والثناء، قال تعالى في آخر الآيات: **(الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**، لو قيل في غير القرآن: الذين هم في صلاتهم يخشعون لدلّ على أن الواحد منهم يجاهد نفسه على الخشوع، وليس الخشوع صفةً دائمةً له، لكن لما عُبِّرَ بالاسم هنا أفاد الثبوت والدوام.

وقال الشاعر:

لَا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرَّتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ
 قوله: (منطلق) يدل على استمرار الدرهم في الانطلاق دون توقف، وهو أدلّ على شدة الكرم مما لو قال: وهو ينطلق لو قال ذلك لدلّ على أنّه استقرّ في صُرَّتِهِ ثم حصل له الانطلاق.

وقال تعالى: **(فَفَرِقَآ كَذَبْتُمْ وَفَرِقَآ تَقْتُلُونَ)** عُبِّرَ في القتل بالفعل المضارع وقد ذكر ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسيره أنه لم يُقَلَّ هنا: قتلتم وإنّما عُبِّرَ بالمضارع تقتلون؛ لأنهم حاولوا قتل النبي -صلى الله عليه وسلم- بالسّمّ والسحر وقد قال -صلى الله عليه وسلم- لعائشة رضي الله عنها: **((ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم))**.

وَالْمُصْطَفَىٰ مَنْ سَادَ كُلَّ السَّادَةِ ضَمَّ إِلَى النَّبُوءَةِ الشَّهَادَةَ
وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾،
يَسْتَغْفِرُونَ: فعلٌ مضارعٌ وهذا يدل على أنه ليس الشرط في عدم عذابهم دَوَامَ الاستغفار بل
يكفي حدوث الاستغفار.

البَابُ الثَّانِي الذِّكْرُ وَالْحَذْفُ

فَلْتَذَكِّرِ الْمَجْهُولَ، مَعْلُومٌ حُذِفَ ذَا الْأَصْلُ فِي الْجُزْأَيْنِ، وَارِعَ مَا أَصِفُ
=مَقَامَ تَطْوِيلٍ، وَحُبِّ الذِّكْرِ وَعَكْسُهُ تُذَكِّرُهُ بِالْفِكْرِ
وَالنَّظْمُ وَالسَّجْعُ لَهُ اعْتِبَارُ تَقْيِيدُ فَضْلَةٍ لَهُ أَسْرَارُ
فَحَذْفُهُ لِعَدَمِ التَّعَلُّقِ وَالذِّكْرُ كَيْ يُفِيدَ، فَاحْذَرِ وَأَنْتَقِ

هذا الباب الثاني من أبواب نظم زبدة البلاغة ومبحث الذكر والحذف يتكرر عند الكلام عن
المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل فالناظم بدلاً من أن يتكلم عن الذكر والحذف في باب
المسند إليه ثم بعد ذلك يكرر الكلام عنه في باب المسند ثم يكرر الكلام عنه في باب متعلقات
الفعل ترجم به هنا كما قال فيما سبق:

وَحَشْيَةَ التَّكْرَارِ فِي الْأَبْوَابِ خَالَفَتْ تَسْهِيلاً عَلَى الطَّلَابِ
والمسند إليه: هو المبتدأ في الجملة الاسمية والفاعل في الجملة الفعلية، والمسند: هو الخبر
في الجملة الاسمية والفعل في الجملة الفعلية، والمقصود بمتعلقات الفعل: المفاعيل الخمسة
وشبهها كالحال والتمييز، وأكثر الكلام عن المفعول به وغيره يُعَرَّفُ حكمه بالقياس عليه.
قال:

فَلْتَذَكِّرِ الْمَجْهُولَ مَعْلُومٌ حُذِفَ ذَا الْأَصْلُ فِي الْجُزْأَيْنِ، وَارِعَ مَا أَصِفُ

الجزآن هما المسند والمسند إليه، فالأصل في المسند والمسند إليه أن يُذَكَّرَ منهما ما كان
مجهولاً لِيُعْلَمَ، وأن يُحَذَفَ ما كان معلوماً لوجود الدليل عليه. هذه قاعدة عامة في المسند
والمسند إليه وهي ذكر المجهول وحذف المعلوم.

ثم قال: (وَارِعَ مَا أَصِفُ) أي ما سأبينه لك؛ لأنه قد يقع في السياق ما يرجح الذكر أو ما يرجح
الحذف.

قال -وفقه الله تعالى-:

..... وَارْعَ مَا أَصِفُ

مَقَامَ تَطْوِيلٍ، وَحُبِّ الذِّكْرِ

ابتدأ بما يرجح الذِّكرَ فمن مرجحات الذِّكرِ أن يكون المقامُ مقامَ بسط وإطالة كمقام الفخر ومقام الأنس بالأحباب وأشهر أمثلة هذا الغرض عند البلاغيين قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ فقد ذكَّرَ المسند إليه في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ وهو قول موسى -عليه السلام-: ﴿هي﴾؛ لأنَّ المقامَ مقامُ أنسٍ وهو يقتضي البسط والتطويل لذا زاد في الجواب ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.

ومن مرجحات الذكر حبُّ الذكر والتلذُّذُ به قال: (وَحُبُّ الذِّكْرِ) كأن تقول: محمد -صلى الله عليه وسلم- قال كذا والغرض التلذُّذُ بذكره.

ثم قال: (وَعَكْسُهُ تَذَرِكُهُ بِالْفَكْرِ) انتقل هنا إلى مرجحات الحذف قال: (وَعَكْسُهُ) أي عكس ما سبق، فعكس مقام التطويل مقام الإيجاز والاختصار مثاله: أن يرى الصائدُ غزالاً فيقول للرامي: غزالٌ أي هذا غزالٌ لكنه حذف المسند إليه؛ لأنَّ التطويل بذكره قد يفضي إلى تضييع فرصة صيده.

ومنه قول الشاعر:

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

المتكلِّم في حال مرض وضجر وذلك لا يناسب التطويل، فلم يقل: أنا عليل بل حذف المسند إليه.

هذا عكس مقام التطويل، وعكس حب الذكر: عدم الرغبة في الذكر لِعَرَضٍ كالخوف على المسند إليه كأن تقول الأم للأب: كُسِرَ الإناء، ولا تقول: كُسِرَ ابْنُكَ الإناء؛ خوفاً عليه.

قال: (وَالنَّظْمُ وَالسَّجْعُ لَهُ اعْتِبَارٌ) قد يكون الغرض من الذكر أو الحذف إصلاح النظم من جهة الوزن والقافية كقول لبيد -رضي الله عنه-:

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَرُدَّ الْوَدَائِعُ

الأصل: أن يَرُدَّ الناسُ الودائعَ لكنَّ الحذف هنا كان لإصلاح النظم، ومثال الحذف للسجع قولهم: "مَنْ طَابَتْ سَرِيرَتُهُ، حُمِدَتْ سِيرَتُهُ" الأصل: حَمِدَ النَّاسُ سِيرَتَهُ، لكن إذا قيل: حَمِدَ النَّاسُ سِيرَتَهُ سيفوت السَّجْعُ، كذلك قولهم: "مَنْ كَرُمَ أَصْلُهُ، وَصِلَ حَبْلُهُ" لو بقي على الأصل وقال: وَصَلَ النَّاسُ حَبْلَهُ لفات السجع.

ثم قال: **(تَقْيِيدُ فَضْلَةٍ لَهُ أَسْرَارُ)** يعني أَنَّ المسند قد يتقيد بالفضلات وهي متعلقات الفعل التي سبقت كالمفاعيل الخمسة وهي المفعول به والمفعول المطلق والمفعول فيه والمفعول من أجله والمفعول معه وكالحال والتمييز فذكر متعلقات الفعل وحذفها له أسرار له أغراضه ونكاته ودواعيه.

قال: **(فَحَذْفُهُ لِعَدَمِ التَّعَلُّقِ)** قد يكون المراد مجرد إثبات الفعل للفاعل أو نفيه عنه دون أي قصدٍ للتعلق بمفعول أصلاً، وهنا يُنَزَّلُ الفعل المتعدي منزلةً اللازم في عدم حاجته للمفعول، ومن أمثله قوله تعالى: **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)** ليس المقصود الذين يعلمون شيئاً مخصوصاً والذين لا يعلمون ذلك الشيء المخصوص بل المراد الذين وُجِدَتْ لهم حقيقة العلم والذين لم تُوجَدْ لهم حقيقة العلم، فهنا الفعل المتعدي نُزِّلَ منزلةً اللازم؛ لأنَّه لا يُقَصَّدُ تعلُّقه بمفعول أصلاً هذا قوله: **(فَحَذْفُهُ لِعَدَمِ التَّعَلُّقِ)** أي لعدم تعلُّق غرض المتكلم بذكر ذلك المتعلِّق، ومن أمثلة الحذف لعدم التعلق أن يقال: أكل الصائم ناسياً فلا تذكر المفعول به وهو اللحم مثلاً؛ لأنَّه لا يتعلَّق الغرض ببيان ما وقع عليه الأكل.

ثم قال: **(وَالذِّكْرُ كَيْ يُفِيدَ فَاخْذَرْ وَانْتَقِ)** يقول: إِنَّ ذِكْرَ الْفَضْلَةِ مِنْ مَتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ هُوَ لَزِيَاةُ الْفَائِدَةِ، فكل فضلة تزيدها فإنها تكثر بها الفائدة وتفيد السامع فائدة زائدة وهو ما يسمونه بتربية الفائدة، فإذا قلت مثلاً: قرأ زيدٌ فقد اقتصرْتَ على جزأي الجملة المسندِ والمسندِ إليه، فالحكم هنا مطلق لم يقيد بشيء، فإذا زدت على المسند والمسند إليه شيئاً مما يتعلق بهما فالكلام مقيد فإذا قلت مثلاً: قرأ زيدٌ القرآن، فالمفعول به أفدت به فائدة زائدة وهي ما وقع عليه الفعل، وإذا قلت: قرأ زيدٌ القرآن أمس، فالمفعول فيه أمس أفاد فائدة زائدة وهي زمان القراءة، وإذا قلت: قرأ زيدٌ القرآن أمس قراءةً، فالمفعول المطلق أفاد فائدة زائدة وهي تأكيد الفعل، وإذا قلت: قرأ زيدٌ القرآن أمس قراءةً متدبراً، فالحال هنا أفادت فائدة زائدة وهي هيئته، فإذا قلت: قرأ زيدٌ القرآن أمس قراءةً متدبراً ابتغاء ثواب الله، فالمفعول من أجله هنا أفاد فائدة زائدة وهي سبب القراءة، وهذه الفائدة في أَنَّ المفعول به يبين ما وقع عليه الفعل، والظرف يبين زمان وقوع الفعل أو مكانه، والمفعول المطلق يؤكد الكلام، والحال تبين الهيئة، والمفعول من أجله يبين سبب وقوع الفعل هذه الفائدة تظهر بتعلم النحو؛ لأنَّ كلَّ واحد من متعلقات الفعل له باب في علم النحو.

قال: **(فَاخْذَرْ وَانْتَقِ)** أي انتبه لما يناسب المقام من ذكر أو حذف.

البَابُ الثَّالِثُ التَّعْرِيفُ وَالتَّنْكِيرُ

الأَصْلُ فِي الْمَعْلُومِ أَنْ يُعْرَفَا ثُمَّ الْبَلِيغُ يَنْتَقِي لِإِتْخَافَا

=ضَمِيرٌ غَائِبٌ لِنَلَّا يُوحِشَا
 إِشَارَةً رَفَعًا، عُمُومٌ بِالصِّلَةِ
 إِضَافَةٌ تَشْبِيهِ بِمَدْحٍ ذَمٍّ
 جَهَالَةُ التَّنْكِيرِ مِنْهَا عَظَمٌ

وَعَلَمًا يُثْنِي بِهِ أَوْ يُفْحِشَا
 وَجُمْلَةٌ لَزِيدٍ مَعْنَى حَامِلُهُ
 وَاللَّامُ فَاعْرِفَ بَعْدَ هَذَا النَّظْمِ
 قَلِيلٌ، وَفِي سِيَاقٍ نَفِيٍّ عَمِّمَ

الشرح:

هذا الباب الثالث من أبواب نظم زبدة البلاغة وهو في التعريف والتنكير.

قال: (الأصل في المعلوم أن يُعرَّفًا) الأصل في المعلوم المحكوم عليه أن يكون معرفةً، فالمبتدأ -وهو المسند إليه في الجملة الاسمية- الأصل أن يكون معرفة قال: (ثم البليغ ينتقي) أي يختار من أنواع المعارف (ليُثَحِّفًا) ليأتي بالمعرفة التي تناسب المقام.

والمعارف سبعة مجموعة في قول الناظم:

إِنَّ الْمَعَارِفَ سَبْعَةً فِيهَا كَمُلُ
 أَنَا: ضمير، صالح: عَلَمٌ، ذا: اسم إشارة، ما: اسم موصول، الفتى: معرف (بـ) (أل)، ابني: مضاف إلى معرفة، يا رجل: نكرة مقصودة في باب النداء.

لكنَّ المعارف التي يتكلم عنها البلاغيون هنا هي الستة الأول، أما النكرة المقصودة فهي مختصة بباب الإنشاء، وسيأتي الكلام عن النداء في باب الإنشاء إن شاء الله، فالستة الأول هي التي ستذكر في هذا الباب فالتعريف يكون بالضمير، وبالعلم، وباسم الإشارة، وبالاسم الموصول، وبالإضافة، وبلام التعريف، وقد ذكرها الناظم على هذا الترتيب، ولكل أغراضه ونكاته وسيشير الناظم إلى بعض الأغراض.

قال:

ثُمَّ الْبَلِيغُ يَنْتَقِي لِيُثَحِّفَا

=ضَمِيرٌ غَائِبٌ لِنَلَّا يُوحِشَا

الأول من المعارف: الضمير والتعريف بالضمير يكون للتنبيه على المقام من تكلم أو خطاب أو غيبة فنقول مثلاً في مقام التكلم: أنا، وفي مقام الخطاب: أنت، وفي مقام الغيبة: هو.

وقد ذكر الناظم غرضاً من التعبير بضمير الغائب وهو التلطف في الخطاب وعدم الإيحاء بقوله: (ضَمِيرٌ غَائِبٌ لِنَلَّا يُوحِشَا) ومن أمثله قوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) عَبَّرَ هنا بضمير الغيبة فالأسلوب أسلوب غيبة لم يقل: عبست بضمير الخطاب بل ثركت المواجهة لكونه أطف

في الخطاب، ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم- مُتَكَلِّمًا عن نفسه بأسلوب الغيبة مشيرًا إلى قرب أجله: **((إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ))** لم يقل: إني خُيِّرْتُ بل قال: إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ كما قال الناظم: **(لَيْلًا يُوحِشًا)** أي لأنَّ ذلك ألطفُ في الخطاب؛ لئلا يوحش السامع.

ثم قال: **(وَعَلَّمَائِي بِهِ أَوْ يُفَحِّشًا)**

الثاني من المعارف: العلم وقد ذكر الناظم غرضين للتعريف بالعلم.

الأول: المدح قال: **(وَعَلَّمَائِي بِهِ)** كأن يكون العلم دالًّا على المدح تقول: محمد -صلى الله عليه وسلم- سيد ولد آدم. وتعيَّرُ بالاسم محمد الدالِّ على ما له من المحامد صلى الله عليه وسلم.

والغرض الآخر: الذم قال: **(أَوْ يُفَحِّشًا)** كأن يكون العلم دالًّا على الذمِّ مثاله أن يُقال: كُليب فعل كذا فيُقصد بإيراده علمًا أن المسمَّى له حظٌّ من اسمه فكُليب تصغير كلب، ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-: **((عُصِيَّةٌ عصت الله ورسوله))**.

ثم قال - وفقه الله -: **(إِشَارَةً رَفْعًا)**

الثالث من المعارف: اسم الإشارة والتعريف باسم الإشارة يكون لكشف حاله من قرب أو بعد، تقول للقريب: هذا زيد، وللبعيد: ذلك عمرو.

وقد ذكر الناظم هنا غرضًا للتعريف باسم الإشارة وهو الرفع قال: **(إِشَارَةً رَفْعًا)** فالغرض التعظيم والإشارة إلى علو المكانة ومنه قوله تعالى: **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ)** الغرض من التعريف باسم الإشارة هنا: التعظيم والرفعة.

ثم قال: **(عُمُومٌ بِالصِّلَةِ)**

الرابع من المعارف: الاسم الموصول وقد ذكر الناظم غرضًا للتعريف بالاسم الموصول وهو إفادة العموم كما في قوله تعالى: **(وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)** (ما) تفيد العموم فكل الذي في السماوات وكل الذي في الأرض له سبحانه وتعالى.

ثم قال: **(وَجُمْلَةٌ لَزِيدٍ مَعْنَى حَامِلَةٍ)** يعني قد يجيء الموصول لأن صلته جملةٌ تحمل معنى لا يحمله المفرد مع مناسبة ذلك المعنى للسياق كقوله تعالى: **(وَوَرَّادَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ)** فكون يوسف -عليه السلام- في بيت امرأة العزيز يزيد داعي الاستجابة للمرادة لكنه -عليه السلام- استعصم مع ذلك الداعي القوي، فدلَّ ذكرُ الصلة على تمام عفة يوسف -عليه السلام- وهذا هو الغرض المسوق له الكلام وهو الدلالة على نزاهة يوسف عليه السلام.

ولو قيل في غير القرآن: راودته امرأة العزيز أو راودته زليخا - فقد ذكروا أنه اسمها - لفات هذا الغرض، فجملة الصلة **(هُوَ فِي بَيْتِهَا)** تحمل معنى لا يحمله المفرد وهذا معنى قول الناظم: **(وَجُمْلَةٌ لَزِيدٍ مَعْنَى حَامِلَةٍ)**.

ثم قال - وفقه الله -: **(إِضَافَةٌ تَشْبِيهِ بِمَدْحٍ نَمَّ)**

الخامس من المعارف: هو المضاف إلى معرفة، ومعنى قوله تَشْبِيهِ: تُشْعِرُ.

قد يكون الغرض من الإضافة التشريف والمدح ومنه قوله تعالى: **(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)** فيه تشريف المضاف حيث أضاف العباد إليه سبحانه وتعالى.

وقد يكون الغرض التحقير والدَّم: **((تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعَسَ عَبْدُ الدَّرْهَمِ))**.

ثم قال: **(وَاللَّامَ فَأَعْرِفَ بَعْدَ هَذَا النَّظْمِ)**

عَبَّرَ باللام، ويُعَبَّرُ ب(أل) التي للتعريف، والتعبير باللام أو ب(أل) مبني على الاختلاف في أداة التعريف، والبلاغيون يعبرون في هذا الموضع غالباً باللام، وليس مقصود الناظم ترجيح أحد القولين على الآخر.

ولم يشأ الناظم -وفقه الله- أَنْ يُخْلِيَ نظمه من ذكر التعريف باللام فأشار إلى أنه يُدْرَسُ بعد هذا الكتاب؛ لأنَّ فيه بعض طُولٍ وفي هذه الإشارة حثٌّ للطالب على أن يترقى في دراسة البلاغة بأن يدرس بعد هذا المختصر ما هو أوسع منه، ولعلَّ المناسب أن نأخذه بشيء من الإيجاز الذي يناسب المقام ولا ينافي مقصود الشيخ إن شاء الله.

اللام نوعان: عهدية وجنسية، وكل واحدة منهما ثلاثة أقسام، فالعهدية ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لام العهد الذكري: وهي ما تقدم لمدخلها ذكر.

وهذا الذكر قد يكون صريحاً كما في قوله تعالى: **(الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)** (أل) الداخلة على (الزجاجة) هي التي للعهد الذكري وقد تقدم ذكر صريح للزجاجة.

وقد يكون كنايةً أي غير صريح ومنه قوله تعالى: **(وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى)** لم يتقدم للذكر ذكر صريح لكنه مفهوم من الكلام السابق؛ لأنها قالت: **(رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا)** والذي يُحَرَّرُ لخدمة بيت المقدس هو الذكر.

القسم الثاني: لام العهد الذهني وعلامتها: أن يكون مدخول (أل) معلوماً عند المخاطب كقولك: جاء القاضي إذا كان بينك وبين مخاطبك عهدٌ في قاضٍ معين، ومنه في غير المسند إليه قوله تعالى: **(إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ)** أي الغار المعهود في ذهن.

القسم الثالث: لام العهد الحضورى وهي التي يكون مصحوب (أل) فيها حاضراً، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي هذا اليوم الحاضر.

النوع الثاني من اللام اللام الجنسية وهي أيضاً ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لام الحقيقة وتسمى لام الجنس وهي التي للإشارة إلى الحقيقة. مثلاً: الرجل خير من المرأة أي حقيقة الرجل لكن لا يلزم أن يكون كل رجل خيراً من كل امرأة.

ومنها: الداخلة على المعرفات ما الصلاة؟ ما الزكاة؟ ما الكلام؟ فاللام في الصلاة والزكاة والكلام هي لام الحقيقة ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

القسم الثاني من الجنسية: التي للإشارة للحقيقة ضمن فرد واحد مبهم غير معين ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ أي فرد من أفراد الذئاب لا يُقصد ذئب بعينه فهو في المعنى نكرة، ومثل أن يقال: أين زيد؟ فنقول: ذهب إلى المسجد أي إلى مسجد من المساجد لا تقصد مسجداً بعينه.

القسم الثالث من الجنسية: الاستغراقية وهي التي يراد بها استغراق أفراد الجنس. والاستغراق نوعان:

١- استغراق حقيقي: وهي التي يراد بها جميع أفراد الجنس بحسب وضع اللغة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ أي كل إنسان.

٢- استغراق عرفي: وهي التي يراد بها جميع أفراد الجنس بحسب عُرفٍ ما، مثل: جَمَعَ الأميرُ الصاعغةَ ليس المقصودُ صاعغةُ العالم بل المقصودُ صاعغةُ بلده. وتقول: نَجَحَ الطلاب المقصود: طلاب الفصل مثلاً ولا يمكن أن يكون الاستغراق حقيقياً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ أي سحرة مملكته لا كلُّ سحرة العالم.

ثم بعد أن ذكر المعارف الستة ختم ببيتٍ ذَكَرَ فيه أغراض التنكير.

والنكرة في أصل وضعها جهالةٌ يتفرع عنها بالنظر إلى السياق أغراض التنكير، فقد يُعبرُ بالنكرة لكون المتكلم عنه مجهولاً كما إذا جاءك رجلٌ لا تعرفه فتقول: جاءني رجلٌ.

قال: (عَظِمَ قَلِيلٌ) التعظيم عكسه التحقير، والتقليل عكسه التكثير، وهذه أربعة أغراض والفرق أنه في التعظيم والتحقير يُرَاعَى الحالُ والشأنُ، وفي التكثير والتقليل يُرَاعَى العَدَدُ، وقد اجتمع التعظيم والتكثير في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي حياةٌ عظيمةٌ كثيرةٌ، واجتمع التحقير والتقليل في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾ أي على أدنى حياة وأقل حياة فالتنكير هنا للتحقير والتقليل.

قال: (وَفِي سِيَاقِ نَفْيِ عَمَمٍ)

يعني أنَّ التَّكررة في سياق النفي تفيد العموم كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ والشَّاهد في التَّكررات الثلاث أي لا تملك أي نفس لأي نفس أي شيء.

البَابُ الرَّابِعُ التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ

الأَصْلُ فِي التَّقْدِيمِ الإِهْتِمَامُ فِي سِرِّهِ تَخْتَلِفُ الْأَفْهَامُ

الشرح:

قال: (الأَصْلُ فِي التَّقْدِيمِ الإِهْتِمَامُ) العربُ تقدم ما هو أهمُّ وهم بشأنه أَعْنَى لَكِنْ هذا لا يكفي عند البلاغيين بل لا بد من بيان سبب الاهتمام لذا لم يقتصر الناظم على ذكر الاهتمام بل ذكر شيئاً من أسبابه.

قال:

مَنْ ذَلِكَ التَّعْجِيلُ وَالتَّشْوِيقُ وَقَدْ يُزَادُ الْحَصْرُ، ذَا دَقِيقٍ

من أغراض التقديم: التعجيل بما يحقق الغرض الذي سيق له الكلام فمن تعجيل المَسْرَةِ أن يكون في لفظ ما قُدِّمَ تفاوُلٌ كقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، ومن تعجيل المساءة أن يكون المقام مقام تخويف كقوله تعالى: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، لم يُقَلَّ: وَعَدَ اللَّهُ الذين كفروا النار والغرض من تقديم النار تعجيل المساءة.

قال: (والتَّشْوِيقُ) أي أن يكون ذكر المقدَّم مشوّقاً لِمَا بعده فيؤدي تقديمه إلى تمكين الخبر في ذهن السامع ويزداد حسناً إذا كان في المقدَّم طَوْلٌ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ وخبر (إِنَّ) هو قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ قُدِّمَ اسم إن وما عطف عليه على الخبر فحصل التشويق للحكم.

ومنه قول أبي العلاء المعري:

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ

يريد الإنسان وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ هنا طال المقدَّم فحصل التشويق إلى الخبر حَيَوَانٌ أي كائنٌ حيٌّ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ أي من تراب.

قال: (وَقَدْ يُزَادُ الْحَصْرُ ذَا دَقِيقٍ) الأصل في التقديم الاهتمام كما سبق وقد يُفيد التقديم فائدةً أخرى وهي الحصر مثاله قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فتقديم المفعول به (إِيَّاكَ) فيه الاهتمام وفيه

مع الاهتمام الحصر أي نعبدك ولا نعبد غيرك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وإفادة التقديم الحصر ليس بدلالة الوضع بل بالقرائن التي ينبغي التنبيه لها لذا قال: **(ذَا دَقِيقٌ)**.

ومنه قوله تعالى في خمر الجنة: ﴿لَا فِيهَا عَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾؛ أي: بخلاف خمر الدنيا، ومنه قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ أي لا لي فهو مختص بكم وفي هذا تمام البراءة منهم.

البَابُ الْخَامِسُ الْقَصْرُ

بِنَفْيِ اسْتِثْنَاءٍ وَتَقْدِيمٍ وَمَا عُرِفَ جَزَاهُ كَذَا بِإِنَّمَا

=قَصْرٌ، عُمُومٌ نَفْيِهِ: الْحَقِيقِيُّ عَكْسَ الْإِضَافِيِّ عَلَى التَّحْقِيقِ

الباب الخامس من أبواب علم المعاني هو باب القصر والمقصود بالقصر: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. قال في الجوهر المكنون:

تَخْصِيصُ أَمْرٍ مُطْلَقًا بِأَمْرِ هُوَ الَّذِي يَدْعُوهُ بِالْقَصْرِ

وابتداء -وقفه الله- ببيان طرق القصر فقال:

بِنَفْيِ اسْتِثْنَاءٍ وَتَقْدِيمٍ وَمَا عُرِفَ جَزَاهُ كَذَا بِإِنَّمَا

ذكر أربعة من طرق القصر:

الأول: النفي والاستثناء ومنه: لا إله إلا الله، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾، ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

هذا قوله: **(بِنَفْيِ اسْتِثْنَاءٍ)** أي بالنفي مع الاستثناء.

الثاني: تقديم ما حقه التأخير وقد سبقت الإشارة إليه في الباب السابق ومنه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

الثالث: تعريف الجزأين أي المسند والمسند إليه تقول مثلاً: زيد المجتهد أي لا غيره، ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾، **((الدين النصيحة))**.

والرابع: إنما **(إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ)**، **(إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ)**.

هذا قوله:

بِنَفْيِ اسْتِثْنَاءِ وَتَقْدِيمِ وَمَا عُرِفَ جَزَاهُ كَذَا بِإِتْمَا

=قَصْرٌ.....

ثم أشار إلى نوعي القصر بالنظر إلى عموم النفي وهما القصر الحقيقي والإضافي فقال:

..... عُمُومُ نَفْيِهِ: الْحَقِيقِيُّ عَكْسُ الْإِضَافِيِّ عَلَى التَّحْقِيقِ

فالقصر الحقيقي: هو ما كان النفي فيه عامًّا نحو: لا يعلم الغيب إلا الله، فالمقصود وهو علم الغيب اختُصَّ بالمقصود عليه وهو الله - سبحانه وتعالى - بحيث لا يتجاوزُه إلى غيره أصلاً. والنوع الآخر: القصر الإضافي وهو ما كان النفي فيه خاصًّا محدَّدًا نحو: ما نجح من الطلاب إلا زيدٌ، المقصود: بالإضافة إلى طلاب فصله لذا سُمِّيَ الإضافي، فالمقصود هنا وهو النجاح اختُصَّ بالمقصود عليه وهو زيد بالإضافة إلى شيءٍ معيَّنٍ وهم طلاب فصله، فهذا هو التحقيق في معنى القصر الإضافي وهو ما كان النفي فيه خاصًّا لذا قال: (عَكْسُ الْإِضَافِيِّ عَلَى التَّحْقِيقِ).

البَابُ السَّادِسُ الْإِنْشَاءُ

الْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالْإِسْتِفْهَامُ تَمَنٍّ، التَّوَدُّعُ هِيَ الْمَرَامُ
فَطَلَبُ الْفِعْلِ، وَكَفٍّ، فَهَمَّ مَحْبُوبٍ، الْإِقْبَالُ، خُذْ مُهْمِي
=خُرُوجَهَا إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى إِلَّا التَّمَنِّي لِأَدَاةٍ أُخْرَى

الباب السادس من أبواب علم المعاني هو باب الإنشاء.

والكلام إمَّا خبرٌ وإمَّا إنشاء قال السيوطي في عقود الجمان:

مُحْتَمِلٌ لِلصِّدْقِ وَالْكَذْبِ الْخَبَرُ وَغَيْرُهُ الْإِنْشَاءُ وَلَا ثَالِثَ قَر

فما يحتمل الصدق والكذب هو الخبر وما لا يحتمل الصدق والكذب هو الإنشاء.

مثلاً: سافر زيدٌ أو زيدٌ مسافرٌ هذا يحتمل الصدق والكذب فهو خبر، لكن قولك: اكتب هذا لا يحتمل الصدق والكذب من قال: اكتب لا يقال له: صدقت أو كذبت فهذا إنشاء.

والإنشاء نوعان: طلبي وغير طلبي، ومحلُّ عناية البلاغيين: الإنشاء الطلبي وهو ما يستدعي حصول شيءٍ غير حاصل وقت الطلب، والذي استقرَّ عليه الأمر عند البلاغيين في كتبهم أنَّ

صور الإنشاء الطلبي التي يذكرونها في هذا الباب خمسٌ وهي التي ذكرها في البيت الأول قال:

الْأَمْرُ، وَالنَّهْيُ، وَالْإِسْتِفْهَامُ تَمَنٍّ، النَّدَا هِيَ الْمَرَامُ
أي هي ما يَرُومُ وَيَقْصِدُ البلاغيون الكلام عنه في هذا الباب، ثم إنه فسرهما في البيت الذي بعده باللف والنشر المرتب فقال:

فَطَلَبُ الْفِعْلِ، وَكَفٍّ، فَهْمٌ مَحْبُوبٌ، الْإِقْبَالُ،
(**فَطَلَبُ الْفِعْلِ**) هذا تفسير الأمر؛ فالأمر: طلب الفعل كأن يقال: اقرأ لطلب القراءة، واكْتُبْ لطلب الكتابة.

(**وَكَفٍّ**) هذا تفسير النهي، فالنهي: طلب الكفِّ، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

(**فَهْمٌ**) هذا تفسير الاستفهام، فالاستفهام: طلب الفهم كأن يقال: أَحْضَرَ زيد؟

(**مَحْبُوبٌ**) هذا تفسير التَّمَنِّي، فالتمني: طلب المحبوب المتعذّر أو المتعسر فهو إمّا متعذّر أي مستحيل كما في قول الشاعر:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأَخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

وإمّا متعسرٌ بعيدُ الوقوع كقول الفقير منقطع الرجاء: ليت لي مالاً فأُحْجَّ به.

(**الْإِقْبَالُ**) هذا تفسير النِّدَاء، فالنداء: طلب الإقبال نحو: يا زيد هذا نداء المقصود به طلبُ الإقبال ف(يا) هنا نائبةً مناب أدعو.

ثم قال:

خُذْ مُهْمِي

=خُرُوجَهَا إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى إِلَّا التَّمَنِّي لِأَدَاةٍ أُخْرَى

يقول: إِنَّ الأمر قد يخرج عن طلب الفعل إلى معانٍ أخرى ومنه قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ ليس المقصود طلب الفعل بل المقصود التهديد ببيان ذلك السياق ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

والنهي قد يخرج عن طلب الكفِّ إلى معانٍ أخرى كالدعاء ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

والاستفهام قد يخرج عن طلب الفهم إلى معانٍ أخرى كالتوبيخ كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

والنداء قد يخرج عن طلب الإقبال إلى معانٍ أخرى كالإغراء تقول: يا شجاع أقدم ولا تريد نداءه وإنما تريد إغراءه بالتقدم فالمقصود بالنداء هنا الإغراء.

قال:

إِلَّا التَّمَنِّي لِأَدَاةٍ أُخْرَى

الأداة الأصلية التي وضعت للتمني هي (ليت)، وقد يُتمنى بغيرها كـ(هل) ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ (هل) استفهامية وقد استعملت هنا في التمني.

وكـ(لعل) ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ﴾ (لعل) للترجي وقد استعملت هنا في التمني.

وكـ(لو) ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (لو) حرف شرط وقد استعمل هنا في التمني.

البَابُ السَّابِعُ الفَصْلُ وَالْوَصْلُ

عِنْدَ انْقِطَاعِ، اتِّصَالِ فَصْلٍ كَشِبْهِهِ، تَوَسُّطِ قُلْ: وَصْلٍ

= فِي جُمْلَتَيْنِ اتَّفَقَتْ مَعَ جَامِعٍ وَاتَّكَرَّ لِحَوَافِ الْوَهْمِ دَوْمًا وَلْتَع

الباب السابع من أبواب علم المعاني هو باب الفصل والوصل، وهو أدقُّ أبواب هذا العلم مأخذًا حتى قَصَرَ بعضُ العلماءِ البلاغةَ على معرفة الفصل والوصل، والمقصود بذلك المبالغة وأنَّ مَنْ كَمُلَ في هذا الباب فلا بدَّ أنْ يكْمَلَ في غيره وَمَنْ فَهِمَ هذا الباب فغيره عليه أيسر.

الكلام السابق في المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل كان في أجزاء الجملة.

والكلام في البابيين السابقين بابِ القصر وبابِ الإنشاء كان في الجملة.

أمَّا باب الفصل والوصل فالكلام فيه بالأصالة يكون بين الجملتين فأكثر.

الفصل: ترك العطف بين الجمل، والوصل: العطف بين الجمل بالواو، قال في الجوهر المكنون:

الفَصْلُ تَرَكُ عَطْفِ جُمْلَةٍ أَتَتْ مِنْ بَعْدِ أُخْرَى عَكْسُ وَصْلٍ قَدْ ثَبَتَ

قال -وفقه الله-:

عِنْدَ انْقِطَاعٍ، اتِّصَالَ فُصْلٍ كَشِبْهِهِ، تَوَسُّطُ قُلٍّ وَصَلٍّ

= فِي جُمْلَتَيْنِ اتَّفَقَتْ مَعَ جَامِعٍ وَاتَّرَكَ لِحَوْفِ الْوَهْمِ دَوْمًا وَلَتَعَ (عِنْدَ انْقِطَاعٍ، اتِّصَالَ فُصْلٍ، كَشِبْهِهِ) ذَكَرَ ثَلَاثَ حَالَاتٍ لِلْفَصْلِ.

(تَوَسُّطُ قُلٍّ وَصَلٍّ = فِي جُمْلَتَيْنِ اتَّفَقَتْ مَعَ جَامِعٍ) ذَكَرَ حَالَةً وَاحِدَةً لِلْوَصْلِ.

نبدأ بحالة الوصل؛ لأنَّ بعض حالات الفصل مبنيٌّ على حالة الوصل.

يكون الوصل عند التوسط بين الكمالين ويتحقق التوسط بين الكمالين بشرطين:

الشرط الأول: الاتفاق بين الجملتين في الخبرية والإنشائية، **والثاني:** وجود الجامع أي وجود أمر يجمع بين الجملتين مثاله قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾** وقد تحقق الشرطان فالجملتان خبريتان ويوجد جامع بينهما فإنَّ تصوّر نعيم الأبرار لا يكمل إلا بتصوّر جحيم الفجار.

وذكر الناظم للفصل ثلاث حالات:

الأولى: كمال الانقطاع وهو أن تكون الجملة الثانية منفصلةً بالكلية عن الجملة الأولى وذلك باختلال أحد الشرطين السابقين، مثال ما اختلَّ فيه شرطُ الاتفاق في الخبرية والإنشائية أن يُقَالَ: مات زيدٌ رحمه الله، (مات زيدٌ) هذه الجملة خبرية، (رحمه الله) هذه الجملة إنشائية في المعنى وإن كانت خبرية في اللفظ لكن العبرة هنا في الاتفاق بمعنى الجملة لا بلفظها، فهذا من مواضع الفصل ولا يُقَالَ: مات زيدٌ ورحمه الله، بل يُقَالَ: مات زيدٌ رحمه الله بالفصل.

ومثال ما اختلَّ فيه شرط الجامع قول أبي العتاهية:

الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مَنِ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

الجملتان خبريتان لكن لا جامع بينهما لذا فصل بينهما فلم يؤت بالعطف.

الثانية: كمال الاتصال وذلك عند وجود علاقة قوية بين الجملتين كأن تكون الثانية بمثابة التوكيد للجملة الأولى أو البديل منها؛ مثال التوكيد قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾** فالجملة الأولى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾** تدلُّ على كمال الكتاب وذلك من اسم الإشارة للبعيد فإنه يفيد الرفعة والتعظيم وأيضاً من القصر فإنَّ تعريف الجزأين يفيد القصر كأنه لا كتاب غيره، وكمال الكتاب يقتضي انتفاء الريب عنه فالجملة الثانية: **﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾** توكيدٌ للجملة الأولى في المعنى لذلك فُصِّلَتْ عنها.

ومثال البديل قوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ﴾** (أمدكم) الثانية بدلٌ من (أمدكم) الأولى لذلك فُصِّلَ هنا فلم يؤت بالعطف.

الثالثة: شبه كمال الاتصال وهو أن تكون الجملة الثانية بمثابة جواب عن سؤال ناشئ عن الجملة الأولى ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ كأنه قيل: لماذا لا تبرئين نفسك؟ الجواب: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ فالجملة الثانية: ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ بمثابة الجواب عن سؤال ناشئ عن الجملة الأولى.

قال -وفقه الله-:

(عِنْدَ انْقِطَاعِ) هذا الموضع الأول للفصل وهو كمال الانقطاع.

(اتِّصَالِ) هذا الموضع الثاني للفصل وهو كمال الاتصال.

(كَتِّبُهُ) هذا الموضع الثالث للفصل وهو شبه كمال الاتصال وكلها سبقت.

(تَوَسُّطُ قُلٍّ: وَصَلٍ) هذا موضع الوصل وهو التوسط بين الكمالين ثم أشار إلى شرطي التوسط بين الكمالين فقال: **(فِي جُمْلَتَيْنِ اتَّفَقَتْ)** هذا الشرط الأول، وهو اتفاق الجملتين في الخبرية والإنشائية **(مَعَ جَامِعٍ)** هذا الشرط الثاني وهو وجود جامع بينهما.

ثم ختم بقوله: **(وَأَتْرَكَ لِخَوْفِ الْوَهْمِ دَوْماً وَلَتَعِ)** يقول: اترك الفصل والوصل إذا أوهَم أحدهما خلاف المراد.

مثال ترك الفصل لخوف الوهم: شخص عَرَضَ عليك معروفاً قال: آتيك بكذا وأنت لا تحتاجه فقلت: لا ثم أردت أن تدعو له فقلت: جزاك الله خيراً، فقولك: لا جزاك الله خيراً يُوهم الدعاء عليه. والأصل هنا أن تفصل؛ لأن الجملة الأولى (لا) جملة خبرية أي لا أريده، والجملة الثانية (جزاك الله خيراً) جملة إنشائية، فالأصل هنا الفصل؛ لأن الجملتين مختلفتان في الخبرية الإنشائية، وبينهما كمال انقطاع لكن يترك الفصل هنا؛ لأنه يُوهم السامع غير المراد لأنه يوهم الدعاء عليه، فنصل أي تأتي بالواو فتقول: لا وجزاك الله خيراً.

وللبلاء كلام في الإشادة بهذه الواو وإطرائها من ذلك ما رواه الخطيب البغدادي^٦ أن المأمون سأل يحيى بن المبارك عن شيء فقال: لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين، فقال المأمون: لله درك ما وُضِعَتْ واوٌ قطُّ موضعاً أحسن من وضعها في لفظك هذا وَوَصَلَهُ وَحَمَلَهُ.

هذا ترك الفصل خوف الوهم، وعكسه ترك الوصل خوف الوهم مثاله قول الشاعر:

وَتَظُنُّ سَلَمِي أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

^٦ في تاريخ بغداد (٢٢٠/١٦).

(وتظن سلمى) جملة خبرية، (أراها) جملة خبرية، ويوجد جامع بينهما فَحَقُّ الكلام أَنْ يُوصَلَ فيه بين الجملتين لكنَّ الوصلَ يُوهم خلاف المقصود لأنَّه لو وصل فقال: (وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا وَأَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمٌ) لَظُنُّ أَنَّهُ من مظنون سلمى فيفسد المعنى لأنه سيكون المعنى: تظن أنني أبغي بها بدلًا وتظن أنني أراها في الضلال تهيم وليس هذا المقصود بل المقصود: تظن أنني أبغي بها بدلًا ثم يُخبر أنه يراها في الضلال تهيم.

وهذا الأخير وهو أن يكونَ عطفُ الجملةِ الثانيةِ على الأولى يُوهم عطفها على غيرها مما لا يُقصدُ عطفها عليه يسمَّى شبه كمال الانقطاع.

هذا معنى قوله: **(واترك لخوف الوهم دومًا)** أي اترك الفصل إذا كان يُوهم خلاف المقصود واترك الوصل أيضًا إذا كان يُوهم خلاف المقصود بل وفي غير هذا الباب قد يكون الشيء جائرًا فتتركه؛ لأنَّه يُوهم خلاف مرادك **(وَلْتَع)** يعني تأمل في هذه المسألة ولا تعتمد على القواعد دون ملاحظة ما قد يوهم غير المراد.

فالحاصل من الأبيات أربعة مواضع للفصل وهي على ترتيب ذكره: كمال الانقطاع، وكمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال، وهذا الأخير وهو شبه كمال الانقطاع، وموضعان للوصل وهما: التوسط بين الكمالين والآخر أن يكون الفصل يُوهم خلاف المقصود من الدعاء على المخاطب كما في المثال الذي مرَّ.

قال -وفقه الله-: **(الباب الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة)**

هذا الباب الثامن من أبواب علم المعاني وهو آخر أبوابه.

كلُّ معنى يقصده المتكلِّم قد وُضِعَ لفظٌ ليؤدِّيه، فإذا جاء الكلام بقدر اللفظ الذي يؤدي ذلك المعنى فهذه هي المساواة، وإذا أدَّى المعنى المراد بلفظ أقل من اللفظ الذي وضع له فهو الإيجاز، وإذا أدَّى المعنى المراد بلفظ زائد على اللفظ الذي وضع له أي الذي يؤدِّي به ذلك المعنى فهو الإطناب فإذا أردت مثلًا أن تُعرِّفَ بنفسك فقلت: أنا زيد بن عمرو فهذه مساواة وإذا حذفْتَ المسند إليه فقلت: زيدُ بنُ عمرو اكتفاءً بدلالة الحال عن ذكر لفظ (أنا) فهذا الإيجاز، وإذا قلت: أنا زيد بن عمرو أنا زيد بن عمرو لفائدةٍ يقتضيها المقام وهي تنبيهه المخاطب أنَّكَ الشخص الذي يبحث عنه مثلًا فهذا إطناب.

قال الناظم -وفقه الله-:

أَطْنَبَ بِإِيضاحٍ، وَعَظَفَ، كَرَّرَ لِنُكْتَةٍ أَوْجَزَ بِحَذْفٍ، قِصَرَ

يُلاحَظُ أنه ترجم بالمساواة ولم يذكرها في النظم لظهور معناها ولقلة عناية البلاغيين بها وهي تُفهم من الإيجاز والإطناب، مثال المساواة قوله تعالى: **(وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)** ليس فيه زيادة ولا نقص وقوله تعالى: **(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)**.

قال:

أَطْنَبُ بِإِيضَاحٍ وَعَظْفٍ كَرَّرَ لِنُكْتَةٍ

ذَكَرَ هُنَا ثَلَاثًا مِنْ صُورِ الْإِطْنَابِ:

الصورة الأولى: الإيضاح بعد الإبهام وأشار إليها بقوله: **(بِإِيضَاحٍ)** ومنه قوله تعالى: **(وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ)** هذا إبهامٌ يشوّكُ إلى معرفة ذلك الأمر فإذا وُضِّحَ لك تمكّن المعنى في نفسك **(أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)** هذا إيضاح بعد الإبهام. ومنه قوله تعالى: **(فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)**.

الصورة الثانية: عطف الخاص على العام تنبيهًا على فضل الخاص وأشار إليها بقوله: **(وَعَظْفٍ)** ومن أمثله في القرآن قوله تعالى: **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى)**، وقوله تعالى: **(تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا)**.

وعكسه أيضًا وهو عطف العام على الخاص ومنه قوله تعالى: **(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا)** وقوله تعالى: **(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)**.

الصورة الثالثة: التكرار وأشار إليها بقوله: **(كَرَّرَ)** وشاهده في القرآن قوله تعالى: **(كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)**، وقوله تعالى: **(هِيَ هَاتِ هِيَ هَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ)**، وقوله تعالى: **(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)**.

قال: **(لِنُكْتَةٍ)** يُشْتَرَطُ في الزيادة أن تكون لنكتة أي لفائدة فإن لم تكن الزيادة لفائدة لم يكن هذا معدودًا من الإطناب عند البلاغيين ومنه قول الشاعر:

وَقَدَدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَالْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

والمين: هو الكذب، فقوله: (ومينا) زيادة لغير فائدة، فهذا ليس من الإطناب بل هو تطويل معيب.

قال: **(أَوْجَزُ بِحَذْفٍ قِصَرٍ)** أي بحذف وبقصر فالإيجاز نوعان: إيجاز حذف، وإيجاز قصر.

الأول: إيجاز الحذف هو والإيجاز الذي سببه الحذف والمحذوف أنواع:

- ١- قد يكون المحذوف جزء جملة ومنه قوله تعالى: **(وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)** أي يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا، فالمحذوف هنا جزء جملة وهو الصفة، وقوله تعالى: **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)** أي أهل القرية فالمحذوف هنا جزء جملة وهو المضاف.
- ٢- وقد يكون المحذوف جملة ومنه قوله تعالى: **(أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ)** أي فضربه فانفلق، وقوله تعالى: **(فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)** أي: فأفطر.

٣- وقد يكون المحذوف جُملاً ومنه قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ أي فأرسلوه فأتى يوسف فقال يوسف أَيُّهَا الصديق.

والنوع الآخر: إيجاز القِصر وهو الإيجاز الذي ليس سببه الحذف.

مثاله المشهور عند البلاغيين قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ فَإِنَّ لفظه يسير ومعناه كثير؛ لأنَّ معناه أَنَّ الإنسان إذا عَلِمَ أَنَّهُ مَتَى قَتَلَ قَتَلَ كَانَ ذَلِكَ داعياً إلى ألا يُقَدِّمَ على القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثيرٌ من قَتْلِ النَّاسِ بعضهم بعضاً وكان ارتفاعُ القتلِ حياةً لهم.

عِلْمُ الْبَيَانِ

(فَنُ الْبَيَانِ عِلْمٌ مَا بِهِ عُرِفَ تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِطُرُقٍ مُخْتَلِفٍ
=وُضُوحُهَا، وَاحْصَرُهُ فِي الثَّلَاثَةِ تَشْبِيهِ أَوْ مَجَازٍ أَوْ كِنَايَةٍ)
(تَشْبِيهًا دَلَالَةً عَلَى اشْتِرَاكِ أَمْرَيْنِ فِي مَعْنَى بِأَلَةٍ أَتَاكَ)
فَقَصَلِ الْوَجْهَ أَوْ احْذَفِ مُجْمَلًا أَكْثَرُ بِحَذْفِ آلَةٍ أَوْ أَرْسِلًا
وَبِالْوَفَا بَعَرَضٍ مَقْبُولٍ أَوْ رَدٍّ، تَفْسِيْمَاتُهُ تَطَوَّلُ

البيتان الأولان مضمنان من الجوهر المكنون للأخضري، وهما تمهيد في أول الكلام عن الفن الثاني من فنون البلاغة وهو فن البيان وقد تضمن هذا التمهيد شيئين الأول: تعريف البيان، والآخر: الإشارة إلى أبوابه قال الأخضري رحمه الله:

(فَنُ الْبَيَانِ عِلْمٌ مَا بِهِ عُرِفَ تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِطُرُقٍ مُخْتَلِفٍ
=وُضُوحُهَا.....)

هذا تعريف علم البيان فعلم البيان علم تعرف به كيفية تأدية المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة.

إذا أُطْلِقَ اللفظُ وأريد به معناه الأصلي فهذا لا يدخل في علم البيان؛ لأنَّ دلالته في هذه الحالة غير قابلة للتفاوت في الوضوح فمثلاً إذا أُطْلِقَ لفظُ الأسد وأريد به الحيوان المفترس أو أُطْلِقَ لفظُ البحر وأريد به المعنى المعروف للبحر فلا يُعَدُّ هذا الإطلاقُ داخلًا في عناية البيانين، أمَّا إذا أُطْلِقَ اللفظُ وأريد به لازم معناه فإنَّ درجات هذا اللازم المراد متفاوتةٌ وهذا محلُّ عناية البيانين، وبالمثال يتضح المقال إذا أردت أن تخبر بكرم زيد فقلت: زيد كريم فهذا لا يدخل في علم البيان؛ لأنَّه لم يطلق لفظٌ على إرادة لازم معناه لكن يمكن أن تخبر بكرم زيد بطرق متفاوتة في وضوح الدلالة، فيمكنك أن تقول زيد كالبحر في الكرم وهذا تشبيهٌ فقد أُطْلِقْتَ البحرَ وأردت به لازم معناه وهو الكرم، ويمكنك أن تقول: رأيتُ بحرًا يعطي الفقراء وهذه استعارةٌ -والاستعارة من المجاز- فقد أُطْلِقْتَ البحرَ وأردت به لازم معناه، ويمكنك أن تقول: زيدٌ لا يغلق بابَه أو زيدٌ كثيرُ الرماد أُطْلِقْتَ (لا يغلق بابَه) و(كثير الرماد) وأردت لازم معناه وهو الكرم، وهذه الثلاثة -التشبيه والمجاز والكناية- هي أبواب علم البيان كما قال:

..... وَاحْصَرُهُ فِي الثَّلَاثَةِ تَشْبِيهِ أَوْ مَجَازٍ أَوْ كِنَايَةٍ

وهي التي سيفصلها في الأبيات الآتية.

قال:

(تَشْبِيهًا دَلَالَةً عَلَى اشْتِرَاكِ أَمْرَيْنِ فِي مَعْنَى بِأَلَةٍ أَتَاكَ)

هذا الباب الأول من أبواب علم البيان وهو باب التشبيه وابتدأ بتعريف التشبيه وهذا البيت مُضَمَّنٌ أيضًا من الجوهر المكنون للأخضري، فالتشبيه هو الدلالة على اشتراك أمرين في معنى بأداة مخصوصة.

مثاله: زيد كالبحر في الكرم فهذا يدل على اشتراك زيد والبحر في معنى هو الكرم بأداة مخصوصة هي الكاف.

وللتشبيه أربعة أركان تستطيع التعرف عليها من هذا البيت وهي المشبَّه والمشبِّه به ووجه الشبه وأداة التشبيه، والمشبَّه والمشبِّه به هما ركنَا التشبيه وهما في المثال السابق زيد والبحر، ووجه الشبه هو المعنى الذي قصد المتكلم اشتراك الطرفين فيه وهو الكرم وهو إما أن يكون مجرورًا بفي أو منصوبًا على التمييز تقول: زيدٌ كالبحر في الكرم أو زيدٌ كالبحر كرمًا أمَّا إذا قيل: زيدٌ كالبحر كريمٌ فهذا معدود عند البلاغيين مما لم يذكر فيه وجه الشبه.

وأشهر أدوات التشبيه:

١- الكاف ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾.

٢- كَانٌ ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾.

٣- مِثْلٌ ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾.

ثم قال -وفقه الله-:

فَفَصِّلِ الْوَجْهَ أَوْ اخْذِفْ مُجْمَلًا أَكِّدْ بِحَذْفِ آلَةٍ أَوْ أَرْسِلًا
وَبِالْوَفَا بِغَرَضٍ مَقْبُولٍ أَوْ رَدِّ تَقْسِيمَاتِهِ تَطَوُّلٍ

الشرح:

للتشبيه تقسيمات كثيرة ذَكَرَ النَّاطِمُ في هذين البيتين ثلاثة تقسيمات هي مِنْ أهمها.

أشار إلى التقسيم الأول بقوله: **(فَفَصِّلِ الْوَجْهَ أَوْ اخْذِفْ مُجْمَلًا)** هذا تقسيمٌ للتشبيه باعتبار ذكر وجه الشبه فإن ذَكَرَ فهو مُفَصَّلٌ وإلَّا فمَجْمَلٌ فالتشبيه المُفَصَّلُ هو الذي ذُكِرَ فيه وجه الشبه مثاله: زيدٌ كالبحر في الكرم، والمُجْمَلُ هو الذي لم يذكر فيه وجه الشبه مثاله قوله تعالى: **(وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)** وجه الشبه: العلو والارتفاع.

وأشار إلى التقسيم الثاني بقوله: **(أَكِّدْ بِحَذْفِ آلَةٍ أَوْ أَرْسِلًا)** هذا تقسيمٌ للتشبيه باعتبار ذكر أداة التشبيه فإن ذُكِرَتْ فهو مرسل وإلَّا فمؤكد؛ فالتشبيه المرسل هو الذي ذُكِرَتْ فيه أداة التشبيه، ومنه قوله تعالى: **(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)** فهنا ذُكِرَتْ أداة التشبيه وهي الكاف، والتشبيه المؤكد هو الذي حذفت فيه أداة التشبيه ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-:

((والصلاة نور))، ومنه في القرآن قوله تعالى: **(وَهِيَ تَمْرُ مَرَّ السَّحَابِ)** أي تَمْرُ مَرًّا كَمَرِّ السَّحَابِ.

مثال التشبيه المَفْصَّلُ المُرْسَلُ - المَفْصَّلُ كما سبق هو الذي ذُكِرَ فيه وجه التشبيه والمُرْسَلُ الذي ذُكِرَ فيه الأداة، أي التشبيه الذي اجتمعت أركانه-: زيدٌ كالأسد في الشجاعة.

مثال التشبيه المَجْمَلُ المؤكَّد - المَجْمَلُ كما سبق هو الذي لم يذكر فيه وجه شبه، والمؤكد الذي لم تذكر فيه الأداة-: زيدٌ أسدٌ وهذا يسمى التشبيه البليغ وهو أكد التشبيه؛ لأنَّ حذف الأداة يُشْعِرُ بأنَّ المشبَّه هو المشبَّه به نفسه وليس شيئاً سواه، فهو يُشْعِرُ بأنَّ زيداً من جنس الأسود، وحذف وجه الشبَّه يُشْعِرُ بالمماثلة في جميع صفات الأسد وليس في الشجاعة فقط.

ثم أشار إلى التقسيم الثالث بقوله: **(وَبِالْوَفَا بَغَرَضٍ مَقْبُولٍ أَوْ رَدٍّ)**

هذا تقسيمٌ للتشبيه بالنظر إلى توفية الغرض فإن وَفَى بالغرض فهو مقبول وإلا فهو مردود فالتشبيه المقبول هو الوافي بالغرض من التشبيه مثلاً قوله تعالى: **(وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)** العَرَضُ من التشبيه تزيين المشبَّه لِزُغَبٍ فيه، والتشبيه وافٍ بهذا الغرض، ومنه قوله تعالى: **(طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ)** العَرَضُ من التشبيه تشويه المشبَّه وتقبيحه، والتشبيه وافٍ بهذا الغرض.

وأما التشبيه المردود فهو غير الوافي بالغرض من التشبيه كتشبيه إنسانٍ بالبحر على إرادة ملوحة طَبْعِهِ، فهذا تشبيهٌ مردودٌ، لأنَّه لا يفي بالغرض من التشبيه؛ لأنَّ السامع سيتبادر إلى ذهنه إذا قُلْتُ: زيدٌ كالبحر أنَّه كالبحر في الكرم، وأنت تقصد ملوحة الطَّبْعِ.

ثم قال: **(تَقْسِيمَاتُهُ تَطَوُّلٌ)** أشار بهذا إلى أنَّ للتشبيه تقسيماتٍ كثيرة لا يحسنُ ذكرها في هذه الزبدة، والمذكور هنا من تقسيماته هو من أهمها.

قال الناظم -وفقه الله تعالى ونفع به-:

لَفْظٌ قَدْ اسْتَعْمَلَ فِي مَعْنَاهُ	حَقِيقَةً، مَجَازًا سِوَاهُ
ذَا اللُّغَوِيِّ بِعَلَاقَةٍ قُسِمَ	فَالأَوَّلُ اسْتِعَارَةً وَتَنْقِسِمَ:
مَكْنِيَّةً تَخْفَى وَتَصْرِيحِيَّةً	وَهِيَ عَلَى تَشَابُهِهِ مَبْنِيَّةً
وَالثَّانِ: مُرْسَلٌ كَجُزءٍ، كُلِّ	مُسْتَقْبَلٍ، مَاضٍ، وَنَسَبُ الْفِعْلِ
=لِغَيْرِ مَا يُبْنَى لَهُ قُلٌّ: عَقْلِي	كَزَمَنِ مُلَابِسٍ لِلْفِعْلِ
مَفْعُولٍ أَوْ فَاعِلٍ أَوْ مَكَانٍ	قَرِينَةُ الْمَجَازِ شَرْطُ ثَانٍ

فَاللُّغَوِيُّ فِي اللَّفْظِ، وَالْعَقْلِيُّ فِي
الْإِسْنَادِ، مَنَعَ أَصْلَ هَذَيْنِ اقْتِفَ
وَجَازَ قَصْدُ الْأَصْلِ فِي الْكِنَايَةِ
عَنْ صِفَةِ مَوْصُوفٍ أَوْ عَنْ نِسْبَةِ
الشرح:

المجاز هو الباب الثاني من أبواب علم البيان كما سبق في قول الأخضري الذي ضمَّنه الناظم في أول فن البيان:

..... وَأَخْصَرُهُ فِي الثَّلَاثَةِ تَشْبِيهِ أَوْ مَجَازٍ أَوْ كِنَايَةٍ
قال -وفقه الله-:

لَفْظٌ قَدْ اسْتُعْمِلَ فِي مَعْنَاهُ حَقِيقَةً، مَجَازًا سِوَاهُ
ابتدأ بتعريف الحقيقة -مع أنَّ المجاز هو المقصود-؛ لأنَّ الشيءَ يُعَرَّفُ بمقابلِهِ كما قال
المنتبي: (وبضدها تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ) والحقيقة هي الأصل.

فالحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ له كالأسد في قولك: رأيت أسدًا على إرادة الحيوان
المفترس، قال: (مَجَازًا سِوَاهُ) مجازنا -معشر البلاغيين- سواه، فالمجازُ هو اللفظ المستعمل
في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهذان الشرطان -
العلاقة والقرينة- ستأتي الإشارة إليهما في الأبيات، فمثلاً كلمة أسد في قولك: رأيت أسدًا
يحمل سيفًا هي كلمة استُعْمِلَتْ في غير ما وضعت له؛ لأنها استُعْمِلَتْ في الرجل الشجاع وهي
موضوعة للحيوان المفترس، وتوجد علاقة بين الأسد والرجل الشجاع وهي الجراءة، وتوجد
قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي وهي يحمل سيفًا، والحيوان المفترس لا يحمل سيفًا.

قال: (ذَا اللَّغَوِيُّ) أي المجاز اللغوي المذكور في البيت السابق (بِعَلَّاقَةٍ فُسِمَ) أي يُقَسَمُ بالنظر
إلى العلاقة إلى قسمين القسم الأول: مجازٌ علاقته المشابهة وهو الاستعارة، والقسم الثاني:
مجاز علاقته غير المشابهة وهو المجاز المرسل.

والاستعارة تشبيهٌ حُذِفَتْ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِ فلم يبقَ إِلَّا المشبَّه أو المشبَّه به، ولك أن تقول: تشبيهٌ
بليغٌ حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ مَثَلًا: زيدٌ كالأسد في الشجاعة إذا قلت: رأيتُ أسدًا يحمل سيفًا ما الذي
بقي من أركان التشبيه؟ الجواب: حذف المشبه ووجه الشبه وأداة التشبيه ولم يبقَ إِلَّا المشبه
به فهو تشبيه حذفت ثلاثة أرباعه.

قال -وفقه الله-:

فَالأَوَّلُ اسْتِعَارَةٌ وَتَنْقَسِمُ:

مَكْنِيَّةٌ تَخْفَى وَتَصْرِيحِيَّةٌ وَهِيَ عَلَى تَشَابُهِ مَبْنِيَّةٍ
فالاستعارة: مجاز لغوي علاقته المشابهة.

في المثال السابق: رأيتُ أسدًا يحمل سيفًا هذا مجاز لغوي علاقته المشابهة بين الرجل الشجاع والأسد فهو من الاستعارة.

وقد ذكر الناظم -وفقه الله- أهمَّ تقسيم من تقسيمات الاستعارة، وهو تقسيمها إلى استعارة مكنية وتصريحية.

الركن الأظهر في التشبيه هو المشبه به فإذا صُرِّحَ به فالاستعارة تصريحية وإذا لم يذكر فهي مكنية ففي المثال السابق: رأيتُ أسدًا يحمل سيفًا هل صُرِّحَ بالمشبه به وهو اللفظ المستعار الأسد؟ الجواب: نعم صُرِّحَ به فالاستعارة تصريحية لكن إذا أُخْفِيَ المشبه به فلم يصرِّح به، وإنَّما رُمِزَ له بشيءٍ من لوازمه فهي مكنية كما قال: **(مَكْنِيَّةٌ تَخْفَى)** مثاله أن تقول: قائد الجيش يزارُ فيخيفُ الأعداء. هنا لم يصرِّح بالمشبه به بل حذف ورمز له بشيء من لوازمه وهو الزئير، فهذه استعارة مكنية.

تطبيقات على الاستعارة التصريحية والمكنية:

- ١- **(إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** شبه الدِّين بالصرَّاط فالاستعارة تصريحية لأنه صُرِّحَ بالمشبه به.
- ٢- **(أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ)** شبه في الآية الضلال بالموت والهداية بالحياة؛ فهنا استعارتان كلتاهما تصريحية؛ لأنه صُرِّحَ بالمشبه به.
- ٣- **(وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ)** شبه الغضب بإنسان يتكلم ويسكت فالاستعارة مكنية؛ لأنه لم يصرِّح بالمشبه به.
- ٤- **(وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)** شبه الشيب بالنار فالاستعارة مكنية؛ لأنه لم يصرِّح بالمشبه به.

ثم قال -وفقه الله-: **(وَالثَّانِ مُرْسَلٌ)** كنَّا عرفنا أنَّ الاستعارة مجاز لغوي علاقته المشابهة وهو الأول من قسمي المجاز اللغوي، والقسم الآخر: المجاز المرسل وهو مجاز لغوي علاقته غير المشابهة، وعلاقات المجاز المرسل كثيرة، ذكر الناظم منها أربعة قال: **(كَجَزْءٍ كُلِّ مُسْتَقْبَلٍ مَاضٍ)**

الأول: الجزئية بأن يُعَبَّرَ بالجزء ويراد الجميع ومنه قوله تعالى: **(فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ)** فالمراد المملوك كله.

الثانية: الكلية بأن يُعَبَّرَ بالجميع ويراد الجزء ومنه قوله تعالى: **(يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ)** المراد أطراف الأصابع غيَّرَ بالجميع وأريدَ الجزء.

الثالثة: المستقبلية ويقال فيها: اعتبار ما سيكون بأن يُعَبَّرَ بما يؤول إليه الشيء ويراد ما هو عليه الآن ومنه: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعَصِرُ خَمْراً﴾ هو عنبٌ سيصير خمرًا.

الرابعة: الماضوية ويقال فيها: اعتبار ما كان بأن يُعَبَّرَ بما كان عليه الشيء ويراد ما هو عليه الآن ومنه قوله تعالى: ﴿وَابْتَئُوا الْيَتَامَى﴾ المقصود بعد البلوغ و﴿لَا يَتَمَّ بَعْدَ اخْتِلَامٍ﴾ لكن أطلق عليهم اسم اليتامى باعتبار ما كانوا عليه.

مسائل:

- ١- ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ والمراد لا تصل، ما العلاقة؟ الجواب: الجزئية؛ لأن الصلاة فيها القيام والركوع والسجود والجلوس، غيّر بالجزء وهو القيام والمراد الصلاة جميعها.
- ٢- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ والمراد الصلاة، ما العلاقة؟ الجواب: الكلية.
- ٣- ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ والمراد أرض خيبر، ما العلاقة؟ الجواب: المستقبلية (اعتبار ما سيكون) فالمقصود أرض خيبر التي ستصير مغانم بعد الغزو والفتح.

المجاز الذي سبق الكلام عنه هو المجاز اللغوي وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي وهو كما سبق نوعان فإن كانت العلاقة المشابهة فهو استعارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة فهو المجاز المرسل.

ثم انتقل إلى بيان نوع آخر من المجاز وهو المجاز العقلي، فالمجاز نوعان: المجاز اللغوي وهو الذي سبق والمجاز العقلي وهو الذي عرفه بقوله:

..... وَنَسَبُ الْفِعْلِ

=لِغَيْرِ مَا يُبْنَى لَهُ قُلْ: عَقْلِي

فالمجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما حَقُّهُ أَنْ يُسَنَّدَ إليه مما هو من ملابساته، والملابس أمرٌ يصاحب الحدث وله به علاقة، وقد ذكر أربعة منها:

الأول: الزمن فإذا أسند الفعل أو ما في معناه إلى زمن وقوعه فالعلاقة الزمانية قال: **(كَزَمَنِ مَلَابِسٍ لِلْفِعْلِ)** كَأَنْ يُقَالَ: نَهَارُ زَيْدٍ صَائِمٌ، أُسْنِدَ الصَّيَامَ إِلَى النَّهَارِ وَالصَّائِمِ زَيْدٍ.

الثاني: المكان وقد أَخَرَهُ النَّاظِمُ فإذا أسند الفعل أو ما في معناه إلى مكان وقوعه فالعلاقة المكانية كأن يقال: طريق سائر والطريق لا يسير وإنَّما هو مَسِيرٌ فيه فهو مكان السير.

الثالث: المفعول فإذا أُسند الفعل المبني للمعلوم إلى المفعول وكذا إذا أُسند اسم الفاعل إلى المفعول فالعلاقة المفعولية كَأَنَّ يُقَالَ: رَضِيتُ عِشْتِي أو عِشْتِي راضية ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

الرابع: الفاعل فإذا أُسند الفعل الذي لم يُسمَّ فاعله إلى الفاعل وكذا إذا أُسند اسم المفعول إلى الفاعل فالعلاقة الفاعلية كقولك: سَتَرَ الحجابُ أو الحجابُ مستور ولو أردت الإسناد الحقيقي لقلت: سَتَرَ الحجابُ والحجابُ ساترٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾.

ومن مشهور العلاقات ولم يذكره الناظم **السببية** فإذا أُسند الفعل إلى سببه فالعلاقة السببية كقولك: بنى الأمير المدينة وهو لم يباشر البناء وإنما كان سبباً فيه بأمره عُمَّالُه بالبناء.

مسائل:

١- ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ أُسند العبوس إلى اليوم هذا مجاز عقلي علاقته الزمانية.

٢- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ أُسند السيلان إلى الأودية والذي يسيل هو الماء فالعلاقة المكانية؛ لأن الأودية مكان سيلان الماء.

٣- ﴿وَاتَّقُوا الشَّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ﴾ أُسند الإهلاك إلى الشح فالعلاقة السببية.

ثم قال: **(قَرِينَةُ الْمَجَازِ شَرْطٌ ثَانٍ)** سَبَقَ أنه لابد للمجاز سواء كان لغوياً أو عقلياً من شرطين هما العلاقة والقرينة فإذا قُفِدَ أحدهما لم يصح حمل الكلام على المجاز.

وقد ذكر في هذا الشطر أنه لا بد في المجاز من قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، ففي قولك: نهار زيد صائم قرينة المجاز أن النهار لا يصوم وإنما هو زمن للصيام هذا في المجاز العقلي، وكذلك في المجاز اللغوي رأيتُ أسداً يحمل سيقاً قرينة المجاز هي يحمل سيقاً والأسد لا يحمل سيقاً.

ثم قال:

فَاللُّغَوِي فِي اللَّفْظِ وَالْعَقْلِيُّ فِي الْإِسْنَادِ، مَنْعَ أَصْلِ هَذَيْنِ افْتَقَرَ
الفرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي أن التجوُّز في المجاز اللغوي يتعلق بالألفاظ ومردُّ الألفاظ إلى اللغة، والتجوُّز في المجاز العقلي يتعلق بالإسناد ومردُّ الإسناد إلى العقل.

فالمجاز اللغوي التجوُّز فيه هو باستعمال اللفظ في غير ما وضع له فتستعمل الأسد للرجل الشجاع والبحر للرجل كريم، والمجاز العقلي التجوُّز فيه هو بإسناد الشيء إلى غير ما هو له كبنى الأمير المدينة أسند بناء المدينة إلى الأمير لكونه السبب.

مسائل: ما نوع المجاز في هذه الأمثلة هل هو لغوي أو عقلي؟

- ١- زيدٌ يومُهُ مجتهدٌ: عقلي.
- ٢- ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)) المقصود بالصلاة الفاتحة: لغوي.
- ٣- ((قَمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا)) والمقصود: الصلاة كلها من قيام وركوع وسجود وجلوس: لغوي.
- ٤- سال الميزاب: عقلي

ثم قال: (مَنْعَ أَصْلٍ هَذَيْنِ اقْتَفٍ)

يعني أنه يمتنع في المجاز بنوعيه اللغوي والعقلي إرادة المعنى الأصلي، وهذا تمهيدٌ منه للكلام عن الكناية؛ لأنه يجوز فيها إرادة المعنى الأصلي، فالكناية هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي كقولك: زيد لا يغلُق بابَه إذا أردت أنه كريم فلفظ لا يغلُق بابَه يراد به لازمه وهو الكرم مع أن المعنى الأصلي وهو كونُ بابِه مفتوحًا جائزٌ غير ممتنع وهذا معنى قوله: (وَجَازَ قَصْدُ الْأَصْلِ فِي الْكِنَايَةِ).

ثم قال: (عَنْ صِفَةٍ مَوْصُوفٍ أَوْ عَنْ نِسْبَةٍ)

تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كناية عن صفة ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ هذه كناية عن الندم.

القسم الثاني: كناية عن موصوف ومنه قول تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ هذه كناية عن موصوف هو السفينة.

القسم الثالث: كناية عن نسبة كقول الشاعر:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى
فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْحَشْرِجِ
في البيت كناية عن نسبة الصفات المذكورة وهي السماحة والمروءة والندى إلى ابن الحشرج. وقد صرح الشاعر بالصفات وبالموصوف ولم يصرح بالنسبة.

أمثلة:

- ١- زيد لا يُغْلِقُ بَابَهُ: كناية عن صفة.
- ٢- زيدٌ المَجْدُ في ثِيَابِهِ: كناية عن نسبة.
- ٣- ((أَوْمَنْ يُسْأَلُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)) والمقصود الأنثى: كناية عن موصوف.
- ٤- قال الشاعر:

ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ حَلَّ الْحَزْمِ حَيْثُ يَحُلُّ
كناية عن نسبة.

٥- زيد كثير الرماد: كناية عن صفة.

٦- ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ والمقصود السواحر: كناية عن موصوف.

تمرين:

١- قال أبو ذؤيب الهذلي:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
شَبَّهَ المنية بالسُّبُعَ ما الصورة البيانية تشبيهٌ أو استعارةٌ أو كناية؟ الجواب: استعارة.
هل يجوز أَنْ تكون كناية؟ الجواب: لا يجوز؛ لأنه يمتنع إرادة المعنى الأصلي.
ما نوع الاستعارة؟ الجواب: مكنية.

٢- في حديث: ((قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِ نَصْفَيْنِ)) والمراد الفاتحة.

الصلاة هنا حقيقة أو مجاز؟ الجواب: مجاز.

عقلي أو لغوي؟ الجواب: مجاز لغوي.

مرسل أو استعارة؟ الجواب: مرسل.

ما علاقته؟ الجواب: الكلية.

٣- في قولهم: فلان مهزولُ الفَصِيلِ إشارةٌ إلى أن الألبان يبذلها للضيوف فَقَلَّ ما يَبْقَى من
الألبان لصغارها ما الصورة البيانية هنا؟ الجواب: كناية.

ما نوعها؟ عن صفة وهي الكرم.

٤- قول الشاعر:

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْضٍ مَخْذِمٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ

ومجامع الأضغان هي القلوب، ما نوع الكناية؟ كناية عن موصوف.

٥- قول الشاعر:

الْيُمْنُ مَنْ يَتَّبِعُ ظِلَّهُ وَالْمَجْدُ يَمْشِي فِي رِكَابِهِ
ما نوع الكناية؟ كناية عن نسبة.

عِلْمُ الْبَدِيعِ

بَعْدَهُمَا التَّحْسِينُ ذَا الْبَدِيعِ
كَذَاكَ رَدُّ عَجْزٍ لِلصَّادِرِ
كَذَا الطَّبَاقُ، وَمُرَاعَاةُ النَّظِيرِ
وَإِنْ تُرِدُ تَمْيِيزَ حُسْنِ الْمَعْنَى
لِلْحَقِّ تَأْنِقًا بِبَدْءِ انْتِقَالِ
خَتْمٍ، بِهِذَا تَمَّ مِنِّي ذَا الْمَقَالِ

هذا الفن الثالث من فنون البلاغة، قال: (بَعْدَهُمَا التَّحْسِينُ ذَا الْبَدِيعِ) أي بعد علم المعاني الذي تحصل به مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وعلم البيان الذي يحصل به الوضوح والسلامة من التعقيد بعدهما يكون التحسين كما قال: (بَعْدَهُمَا التَّحْسِينُ)

قال: (ذَا الْبَدِيعِ) أي هذا التحسين هو الذي يُعَرَفُ في علم البديع.

فَعِلْمُ الْبَدِيعِ: عِلْمٌ تُعَرَفُ بِهِ وَجْهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ بَعْدَ رَعَايَةِ كُلِّ مِنَ الْمَطَابَقَةِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ الَّتِي تَدْرُسُ فِي عِلْمِ الْمَعْنَى وَالْوَضُوحِ فِي الدَّلَالَةِ الَّتِي يَدْرُسُ فِي عِلْمِ الْبَيَانِ، فَعِلْمُ الْبَدِيعِ يَعْرِفُنَا بِمَا يَزِيدُ الْكَلَامَ حُسْنًا بَعْدَ حُسْنِهِ الْحَاصِلِ بِالْعُلَمِينَ السَّابِقِينَ.

والمحسنات نوعان لفظية ومعنوية:

المحسنات اللفظية: هي التي ترجع إلى تحسين اللفظ أصالة وإن كان يتبعه تحسين المعنى.

المحسنات المعنوية: هي التي ترجع إلى تحسين المعنى أصالة وإن كان يتبعه تحسين اللفظ.

وقد ذكر اللفظية في قوله:

لَفْظِيَّةُ: الْجِنَاسُ، وَالتَّسْجِيعُ

.....

كَذَاكَ رَدُّ عَجْزٍ لِلصَّادِرِ

وذكر المعنوية في قوله:

وَالْمَعْنَوِيَّةُ: اللَّفْظُ نَشْرٌ، وَرَّ

.....

تَجَاهُلُ الْعَارِفِ بِالسَّوْقِ شَهِيرٌ

كَذَا الطَّبَاقُ، وَمُرَاعَاةُ النَّظِيرِ

قال: (لَفْظِيَّةُ الْجِنَاسُ)

ذكر من المحسنات اللفظية ثلاثة:

الأول: الجناس ويقال فيه: التجنيس وهو تشابه اللفظين في التلّفظ مع اختلافهما في المعنى. وهذا التشابه قد يكون تاما وقد يكون غير تام.

فالتام أن يتفق اللفظان في أربعة أمور:

١- عدد الحروف ٢- ونوعها ٣- وترتيبها ٤- وهيتها من حركة وسكون.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ الساعة الأولى: القيامة، والثانية: المدة من الزمن ولا يؤثر في الجناس التام الاختلاف في التعريف والتذكير، فكون الساعة الأولى معرفة بـ(أل)، والثانية غير معرفة لا يمنع من أن يكون الجناس تاماً، ومنه أيضاً في القرآن قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَآ بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ الأبصار الأولى: العيون، والأبصار الثانية: العقول.

ومنه قول أبي تمام:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

فإذا اختلف شيء من الأربعة السابقة فهو جناس غير تام، ومن أمثلته:

١- قوله تعالى: ﴿وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ الجناس في الساق والمساق، والاختلاف هنا في عدد الحروف.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ الاختلاف هنا في نوع الحرف.

٣- وقولهم: حُسامه فَتَحَ لأوليائه وَحَنَفَ لَأعدائه، الجناس في فتح وحتف، والاختلاف هو في ترتيب الحروف.

٤- وقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ الحروف واحدة لكن الحركات مختلفة، فهذا كله من الجناس غير التام.

ثم قال: **(وَالسَّجْعُ)**

الثاني من المحسنات اللفظية التي ذكرها: التسجيع ويقال فيه: السجع وهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ومنه قولهم: من طَابَتْ سِرِيرَتُهُ، حُمِدَتْ سِيرَتُهُ. ومنه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ لكن في القرآن لا يقال: سجع، بل يقال: فاصلة.

قال السيوطي في عقود الجمان وهي ألفيته في البلاغة:

وَفِي الْقُرْآنِ قُلٌّ: فَوَاصِلٌ، وَلَا يُقَالُ أَسْجَاعٌ فَعْنَهَا قَدْ عَلَا

لأنَّ السجع في الأصل اسم لهدير الحمام، والقرآن يَشْرُفُ أن يُسْتَعَارَ له لفظٌ هو في أصل الوضع لطائر، ولأنَّه كان من شعار الكُهَّانِ. وأخذوا اسم الفواصل من قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، ومنه في السنة قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُّوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)) وصحابي الحديث هو عبدالله بن سلام، وهذا من حسن التوافق والانسجام!

ثم قال: (كَذَاكَ رَدُّ عَجْزٍ لِلصَّدْرِ)

ردَّ العجز على الصدر هو أن يُجْعَلَ أحدُ اللفظين في أول الفقرة والآخر في آخرها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وقد توسع فيه المفسِّرون موافقين في ذلك متقدمي البلاغيين فجعلوا منه كل رَدٍّ لأعجاز الكلام على ما تقدمها، وغنوا ببيان أوجه التناسب بين أوائل السور وأواخرها، ومنه قوله تعالى في أول سورة الحشر: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقوله تعالى في آخرها: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فردَّ عجز السورة على صدرها.

ثم قال: (وَالْمَعْنَوِيُّ: اللَّفُّ نَشْرٌ، وَرَّ)

شرع هنا يذكر المحسنات المعنوية.

المحسن الأول: اللف والنشر وهو ذِكْرُ متعدّد ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يردُّه إليها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي في الليل، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي في النهار، فالأول للأول، والثاني للثاني، ذِكْرُ كُلِّ من الليل والنهار، ثم ذِكْرُ السكون المناسب لليل وابتغاء الفضل المناسب للنهار دون تعيين، وهذا لف ونشر مرتّب؛ لأنَّ الأول للأول والثاني والثاني.

وقد يكون غير مرتّب ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، ذِكْرُ الشاكر والكفور، ثم ذِكْرُ العذاب المناسب للكفور، ثم النعيم المناسب للشاكر.

ومن اللف والنشر ما في سورة العنكبوت من قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُم مِّنْ مَّسَاكِينِهِمْ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم عاد ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ وهو قارون ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا﴾ وهو فرعون ووزيره هامان، ذَكَرَ أَنَّهُ مِنَ اللَّفِّ والنَّشْرِ ابنُ كثير -رحمه الله تعالى- في تفسيره، وهو لَفٌّ ونَشْرٌ مرتّب.

ثم قال: (وَرِ) المحسن الثاني: التورية ويسمى الإيهام.

والمقصود بالتورية: أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَيُرَادُّ بِهِ الْبَعِيدُ مِنْهُمَا، وَمِنْهُ مَا فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ فِي حَدِيثِ الْهَجْرَةِ: ((فِيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، فَيَحْسَبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ)).

ومنه ما يُروى فِي السَّيْرَةِ لَمَّا سَأَلَ شَيْخُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبَا بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَبْلَ بَدْرِ مَنْ أَنْتَمَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((نَحْنُ مِنْ مَاءٍ))، فَقَالَ الشَّيْخُ: مَا مِنْ مَاءٍ؟ أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ؟ وَهَذِهِ تَوْرِيَّةٌ بَدِيعَةٌ فَالْمَعْنَى الْقَرِيبُ غَيْرُ الْمُرَادِّ مَكَانٌ مَعْرُوفٌ بِهَذَا الْأَسْمِ، وَالْمَعْنَى الْبَعِيدُ الْمُرَادُّ هُوَ الْمَاءُ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ كُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ.

ثم قال: (كَذَا الطَّبَاقُ) المحسن الثالث: الطباق وهو الجمع بين متضادين مثل قوله تعالى: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتُعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾.

ومن الطباق: المقابلة وهي أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ثُمَّ يُؤْتَى بِمَا يُضَادُّ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾، بَيْنَ (يُضْحَكُوا) وَ(يَبْكُوا) طَبَاقٌ، وَبَيْنَ (قَلِيلًا) وَ(كَثِيرًا) طَبَاقٌ.

ومنه قول الشاعر:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ فِي الرَّجُلِ
هذا البيت كم طباقاً فيه؟ الجواب: ثلاثة بين (أَحْسَنَ وَأَقْبَحَ) وَ(الدِّينَ وَالْإِفْلَاسَ) وَ(الدُّنْيَا وَالْكَفْرَ).

ثم قال: (وَمَرَاعَةُ النَّظِيرِ) المحسن الرابع: مراعاة النظير ويسمى التوفيق وهو جمع أمر وما يناسبه لَا بِالتَّضَادِّ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُتَنَاسِبَانِ لَكِنَّهُمَا غَيْرُ مُتَضَادِّينِ.

ومن مراعاة النظير ما يُسَمَّى تَشَابُهَ الْأَطْرَافِ وَهُوَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلَامُ بِمَا يَنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِي الْمَعْنَى نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، لَمَّا ذَكَرَ الْقَطْعَ وَالنَّكَالَ نَاسَبَ ذِكْرُ اسْمِ الْعَزِيزِ وَالْحَكِيمِ ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لَمَّا ذَكَرَ التَّوْبَةَ نَاسَبَ ذِكْرُ اسْمِ الْغَفُورِ وَالرَّحِيمِ.

المحسن الخامس من المحسنات المعنوية التي ذكرها: **تجاهل العارف** قال: **(تَجَاهَلُ الْعَارِفُ بِالسُّوقِ شَهِيرًا)** ويسمى سوق المعلوم مساق غيره لنكتة ومنه قول الشاعر:

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُمْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

النكتة في البيت: إظهار الحيرة وذهاب العقل بسبب الحب.

ومنه قول زهير:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقَوْمَ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءَ

النكتة: المبالغة في الدَّم.

ومن العلماء من يتحاشى مصطلح تجاهل العارف؛ لوجوده في القرآن، ويسميه سوق المعلوم مساق غيره ومنه في القرآن قوله تعالى: **(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)** ساق المعلوم وهو هدايته -صلى الله عليه وسلم- وضلالهم مساق غيره تطلقاً معهم لعلهم يرجعون عن ضلالهم.

ثم قال:

وإن ترد تمييز حسن المعنى **فضع مرادفاً لتلقى الحسن**
هذا ضابط أغلبي يميز به المحسن اللفظي من المحسن المعنوي؛ فالمحسن المعنوي يُعرف بأنه لو غيّر اللفظ فيه بمرادفه لم يزل المحسن بل يبقى، هذا معنى قوله:

وإن ترد تمييز حسن المعنى **فضع مرادفاً لتلقى الحسن**

أما اللفظي فلو غيّر اللفظ فيه بما يُرادفه لزال المحسن هذا ضابط أغلبي.

مثلاً الطباق في قوله تعالى: **(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ)** لو قيل في غير القرآن: وتحسبهم أَيْقَاظًا وهم نائمون هل يزول المحسن أو يبقى؟ الجواب: يبقى إذن هو محسن معنوي.

مثلاً الجناس في قوله تعالى: **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)** لو قيل في غير القرآن: ويوم تقوم القيامة هل يبقى المحسن؟ الجواب: لا يبقى إذن هو محسن لفظي.

مثلاً: (مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ) (عاش) و(مات) بينهما طباق، و(مات) و(فات) بينهما سجع وجناس غير تام.

لو قيل: (من عاش هلك) بدل: (من عاش مات).

هل بقي الطباق بين (عاش) و(هلك)؟ الجواب: بقي فهو محسن معنوي.

وهل بقي الجنس والسجع بين (هلك) و(فات)؟ الجواب: لم يبق إذن هو محسن لفظي.
ثم ختم بقوله:

الْحَقُّ تَأْتِقًا بِبَدْءٍ انْتَقَالَ خَتْمٌ، بِهِذَا تَمَّ مِنِّي ذَا الْمَقَالِ
علم البديع له ملحقات منها ما ذكره هنا وهو مواضع التأتق في الكلام والمقصود بها المواضع التي ينبغي فيها للمتكلم أن يجتهد في طلب أنق الكلام أي أحسنه ليأتي به فيها وهي ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: الابتداء فينبغي للمتكلم أن يجعل مبدأ كلامه عذب اللفظ حسن السبك صحيح المعنى؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإذا جاء في أحسن صورة أقبل السامع على الكلام ووعاه وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن كقول بعضهم في التهنئة بزوال مرض:

المَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ
هذا حسن ابتداء، وأحسن الابتداء ما أشعر بما سيق الكلام من أجله ويسمى براعة الاستهلال، ومنه قول الشاعر مُهَنْئًا:

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا وَكَوَكَبُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ الْغَلَا صَعِدَا
الموضع الثاني: الانتقال مما افتتح به الكلام إلى المقصود؛ لأن السامع يكون مترقبًا للانتقال من الافتتاح إلى المقصود، فإن كان الانتقال حسنًا نشط لسمع ما بعده، وهذا الانتقال إذا كان مع ملائمة سمي حسن التخلص ومنه في القرآن قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هذه تتعلق باليمين ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ انتقل من اليمين إلى الطلاق بذكر الإيلاء، فالإيلاء له تعلق باليمين من جهة أنه حلف وله تعلق بالطلاق من جهة أنه قد يؤول إلى الطلاق فهذا حسن التخلص؛ لأنه انتقل من اليمين إلى الطلاق مع ملائمة فالإيلاء له تعلق باليمين وله تعلق بالطلاق.

ومنه قول المتنبي:

نُودِعُهُمْ وَالْبَيْنُ فِينَا كَأَنَّهُ قَنَا ابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ فِي قَلْبِ فَيْلَقٍ
تخلص من الوداع إلى مدح ممدوحه بهذا التخلص البديع.

وإذا كان الانتقال بلا ملائمة سمي اقتضابًا، وهو مذهب العرب في الجاهلية ومن يليهم من المخضرمين ومنه قول جرير:

أَتَنْفَعُكَ الْحَيَاةَ وَأُمَّ عَمْرٍو قَرِيبٌ لَا تَزُورُ وَلَا تُزَارُ

وَقَدْ لَحِقَ الْأَخِيطِلُ بِالنَّصَارَى لِيَنْصُرَهُمْ وَلَيْسَ لَهُ انْتِصَارٌ

لا ملائمة بين ما انتقل منه في البيت الأول وما انتقل إليه في البيت الثاني.

وقد يكون الانتقال بأداة تشعر بالانتقال وأشهرها أما بعد وهذا كثير في الأحاديث النبوية، قال البخاري في صحيحه: "باب مَنْ قَالَ فِي الْخُطْبَةِ بَعْدَ الثَّنَاءِ: أَمَا بَعْدَ" وذكر ستة أحاديث، وقد روى ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أربعون صحابي كما أفاده الزُّهَّاءُ في أربعينه المتباينة الأسانيد نقله عن الزُّرْقَانِي في شرح المواهب^٧ ومنها (هذا) و(ذلك): ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وهذا يُسَمَّى اقتضاباً قريباً من التخلص فهذه ثلاثة أنواع للانتقال.

الموضع الثالث: الاختتام بأن يكون آخر الكلام عذب اللفظ حسن السبك صحيح المعنى؛ لأنه آخر ما يعيه السمع فيرتسم في النفس، وأحسنه ما أشعر بالانتهاء وهو المسمى براعة المقطع كقوله تعالى في آخر سورة الزمر ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ومنه آخر سورة إبراهيم ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وقد قال السيوطي في عقود الجمان:

وَسُورُ الْقُرْآنِ فِي ابْتِدَائِهَا وَفِي تَخْلُصٍ وَفِي انْتِهَائِهَا

وَارِدَةٌ أَبْلَغَ وَجْهِ وَأَجَلْ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ جَلْ

وَمَنْ لَهَا أَمْعَنَ فِي التَّأَمُّلِ بَانَ لَهُ كُلُّ خَفِيٍّ وَجَلِيٍّ

ومن حسن الاختتام وبراعة المقطع قول الناظم في آخر النظم: **(تم مني ذا المقال)** ومنه أيضاً أن يقال في آخر المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

^٧ (٢٧/١).